

المحور الرابع

دور المؤسسات ذات الاختصاص

في النهوض بالعربية

المعجم التاريخي للغة العربية

إجراءات منهجية

أ-د. صالح بلعيد - الجزائر

المقدمة:

أبدأ هذه المقالة باقتطاف أربعة أبيات من قصيدة قالها الشاعر محمد البرعي في حق مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقوله الحق والصواب، إذ يقول:

يا مجمع الفصحى وحصن تراثها لا زلت ظلاً للبيان ظليلاً
قد كنت منذ نشأت قوة عزها تقضي لاحقاً عليك نبيلاً
واليوم قد هبت عليها عجمة كانت على لغة البيان وبيلاً
فانهض وخذ بيد البيان فإنه لم يرض غيرك للبيان كفيلاً

هذا المجمع اللغوي الذي فكر وقدر ثم طمح يوم تأسيسه في إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ولكن ظروفًا حالت دون ذلك، واستبدل المشروع بإنجاز (المعجم الكبير)⁽¹⁾، ويكبر الإجلال في هذه المؤسسة اللغوية الكبيرة تبنّيها لاتحاد المجامع اللغوية العربية مقرأً ونفقةً ورئاسةً، فأعظم به من تبنّي. واليوم على عاتق اتحاد المجامع العربية إنجاز المشروع العملاق، مشروع العصر؛ وهو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية؛ مشروع تقادمت فكرته وطالت غربته، وتأتي أيادٍ كريمة تبعثه، وهذا من خلال المكرمة السخية لسمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، وحاكم الشارقة؛ الذي تبرّع بتمويل بناء مقرّ للاتحاد المجامع اللغوية العربية بالقاهرة، بالإضافة إلى تمويل إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية. ومن هذه المكرمة من يد سموه تأسست هيئة المعجم التاريخي بالقاهرة، كما تأسست هياكل الهيئة، ونُصبت في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة يوم 2 فبراير 2008م. ومن هنا نقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية هو مشروع النهضة العربية في كل مرافقها وهو المشروع المعاصر الذي يجب أن نوليّه ما يستحقه من أهمية، وهذا لعدّة اعتبارات حضارية ودينية وخلقية وفكرية، وله أبعاد عميقة في محيطنا الواقعي، ومن هنا فإن:

(1) لقد راعى المعجم الكبير إلى حدّ ما بعض الخطوات العلمية التي ينشدها المعجم التاريخي من مثل: أصل الكلمة، استعمالها، ترتيب المادة حسب المعاني، التدرّج في المدلولات من الحسّية إلى المدلولات المعنوية، الاستشهاد من خلال النصوص بالشعر والنثر، مراعاة اختلاف العصور، ترتيب الشواهد تاريخياً...

* المعجم التاريخي عمل جبار، سوف يكشف عن كنوز العربية، وعن معارفها التي ظلت مجهولة، كما يؤرّخ للعربية على اعتبار أنّه ديوان لتاريخ العرب والمسلمين،

* كلّ من فكّر في هذا المشروع الحضاري مشهود له بسعة الأفق، والنظر إلى المستقبل بعين الحداثة، وإلى اللغة العربية بعين التحديث، عاكساً امتدادها وأصداءها الإنسانية، ويشهد له التاريخ أنّه موسوم بالغيرة والصدق والإخلاص، والأحقّ أن يخلد اسمه،

* من بعث مشروع المعجم التاريخي في الوقت المعاصر -بعد البيات الطويل- لهو شخص حضاري يحتاج إلى تمجيد وتكريم، ويشهد لها بالغيرة والتحدّي، وأنّه رجل أصيل،

* الذين يعملون في هذا المعجم سيكونون جنوداً لخدمة العرب والعربية، فهم قافلة إعادة صياغة البرنامج الإصلاحي للغة العربية، فنعم هم، ونعم ما يقدّمون عليه من تسجيل وتدوين لحضارة عظيمة، ولكشف لغوي هام، ولإصلاح لغوي معاصر،

* نجاح مشروع المعجم التاريخي يعدّ مدخلاً للتشجيع، ودخول حقل الجودة وأسواق المنافسة مع مواجهة التحديات من خلال تفتح علمي ورزانة فكرية ومرونة عقلية،

* اهتمامنا بالمعجم التاريخي؛ يعني أننا نحتكم إلى التاريخ الذي يظهر لنا قدام العربية، وتجلّى لنا فيها السيطرة العامة على العلوم وألوية الترجمات، فيرنا ذلك مساحة العربية من الذبوع في المهجر، وعبر بلدان الشرق الأدنى،

* الاهتمام بالمعجم التاريخي للغة العربية يعني تحليل مقاصد الإصلاح والتحديث على المستوى الثقافي العربي والإسلامي، فالحاجة ملحة لتطوي المساق المنهجي الذي اتّجهت إليه الدول العربية في وقتنا الحاضر إلى تطعيم علمي يلحق بآليات العصر، ووفق ما تقوم به الدول الغربية في مجال الاهتمام بلغاتها،

* العرب سيقومون بهذا الإنجاز، وسيكونون في مستوى لغتهم التي لا تدانيها لغة على وجه الأرض.

إنّ المعجم التاريخي للغة العربية سيكون مرآة للحياة العربية بكلّ جوانبها، وسيربط حاضر العرب بماضيهم، فهل يصبح الحلم حقيقة؟ وهل نعمل بالفعل والقوّة على تجسيد معلّمنا الحضاري المعاصر؟ وهل يمكن الإمام بكلّ تراثنا في هذه المعلّمة الجامعة؟ وهل نكون في مستوى التحدّي لترسيخ عربيتنا في شموخها بوضع آليات الانطلاق؟ وهل تفعلّ آليات اللغة العربية من خلال المعجم التاريخي؟ وهل نستطيع إنجازها في أقرب الآجال، وفي أقلّ وقت ممّا هو متصوّر؟ وهل يقع استغلال التقانات المعاصرة؟ وهل نطمح لغد أفضل بوجود مدوّنة محوسبة للغة العربية

وفي أشكالها المتنوعة؟ وهل يمكن أن نستدرك التأخير؟ وهل وهل وهل... وما ذلك بعزير؛ إذا صدقت النيات وشدت العزائم.

لقد شرفني رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، ومجلس الأمانة للمعجم التاريخي للغة العربية بتعييني عضواً في المجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية؛ نظراً للجهود العلمية التي أقدمها لخدمة اللغة العربية، ولما أنجزته من أعمال وخبرات في مجال إشكاليات المصطلح والمصطلحية وصناعة المعاجم، والحلول المقترحة لتنميط المصطلح العربي العلمي منه خاصة، ومن خلال هذا التعيين يعني أنّ مجلس الأمانة فسح لي مكاناً في هذا العمل العلمي الموقر، تحت مظلة المشروع العملاق؛ مشروع القرن المعاصر، وأعبر بصدق عن هذه الثقة الغالية التي طوّقت عنقي وأرجو أن أكون في مستوى هذا الانتساب. وأعاهد نفسي على بذل جهدي لخدمة أغراض هذه المؤسسة؛ مرتسماً خطي السابقين ما لم تكن خطأ، ومواصلاً العمل إلى أن يأتي أكله.

لقد حضرت الجلسات العلمية الأولى للمجلس العلمي في مقرّ المجمع اللغوي بالقاهرة بالزمالك أيام 2-8 فبراير 2008م⁽¹⁾. ولما بدأ النقاش حول تعريف المعجم التاريخي، وعن أهدافه، وخصوصياته وامتته، وكلّ متعلقاته، رأيت سوء فهم عند بعض الزملاء، كما رأيت تضارب الآراء لدرجة التباين ولقد بدت صورة غير مستقرّة عند بعض أعضاء المجلس العلمي، حيث يغفل البعض منهم الآليات العملية لوضع الترتيبات الأولية لهذا المشروع الطموح، كما يفتقر

(1) إليكم القائمة الاسمية بأعضاء المجلس العلمي:

- | | |
|----------|-----------------------------------|
| مصر | - كمال بشر، مديراً عاماً للمؤسسة، |
| تونس | - إبراهيم بن مراد، عضواً، |
| السعودية | - أحمد بن محمد الضبيب، عضواً، |
| فلسطين | - أحمد شفيق الخطيب، عضواً، |
| السودان | - بكري محمد الحاج، عضواً، |
| لبنان | - رمزي منير البعلبكي، عضواً، |
| الأردن | - سمير محمود أحمد الدروبي، عضواً، |
| الجزائر | - صالح بلعيد، عضواً، |
| المغرب | - عبد الهادي التازي، عضواً، |
| ليبيا | - علي الصادق حسنين، عضواً، |
| العراق | - علي القاسمي، عضواً، |
| سورية | - مازن المبارك، عضواً، |
| مصر | - محمد حسن عبد العزيز، عضواً، |
| مصر | - مصطفى حجازي، عضواً، |
| غائب | - ممثل عن المجمع العلمي العراقي، |

بعضهم إلى تمثّل فكرة المعجم التاريخي بقوة، إضافة إلى غياب المفهوم العلمي لخصائص، ووظائف، وأهداف المعجم التاريخي والفروق المنهجية بين المعجم التاريخي والمعاجم الخاصة أو العامة، والفروق بينه وبين دوائر المعارف، وكذلك الفروق بينه وبين الموسوعات، بلّهِ الحديث عن الجوانب الأخرى من مثل: عدم وضوح منهج الحيازة، وعدم وجود طريقة البرمجة، وعدم تقدير أهمية المشروع ومدة إنجازه. وقد يكون بعض الأعضاء معذورين لعدم اختصاصهم، وبعضهم لم يكونوا على اطلاع بفكرة المعجم التاريخي بتاتاً. ومن هنا انبريتُ بهذا العمل لتوضيح احتياج اللغة العربية للمعجم التاريخي، وتحديد مفهوم المعجم التاريخي، وخصائصه، وأهدافه، وكيفيات الإنجاز؛ مروراً بالإجراءات التي رأيت ضرورة تبنيها في المشروع في مبدأ الأمر إلى أن يستجدّ الجديد.

كان في نفسي رغبة في تقديم مقالة (مقاربة) علمية باستقراء الأفكار السابقة والتصورات التي قدّمت في مجال المعجم التاريخي؛ بغية التوضيح والمساهمة وإزالة ما كان غامضاً، إلى جانب ضرورة وضع المعجم التاريخي على محكّ الاختبار؛ بالشروع فيه، بعد هذا التأخير الذي مسّه، ولا شكّ أنّ عمليات الشروع سوف تكشف عن ثغرات، وسوف يقع سدّها، كما سيقع استدراك المنسي، وإضافة الجديد الطارئ، والمهمّ الآن أن تحصل الانطلاقة الوثيقة. وسوف أركّز القول على الخطوات الإجرائية والمنهجية التي تجعل المشروع يدخل المراحل العلمية والعملية بخطى واثقة وقوية، وفي نفسي رغبة صادقة في تقديم ممارسة بسيطة لحرفة المعاجم، والتي تعمل على تحسين الأداء العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية، وهذا عبر الطموح الطافح لتحقيق المشروع القومي المعطل منذ أمد بعيد وسبق أن دعوت في ملتقيات الذخيرة العربية إلى تكاتف جهود الذخيرة العربية -التي تُنجز في الجزائر- مع المعجم التاريخي للغة العربية -الذي بدأت معالمة تظهر- إلى الإفادة من بعضهما البعض، أو دمج المشروعين في مشروع عربي واحد؛ كي لا يتكرّر العمل، وتضيع الجهود والأموال.

لقد رأيت ضرورة الإدلاء بما بصّرت به من دراية متواضعة في أمر المعجم التاريخي للغة العربية فالجهد جبار، يحتاج إلى سواعد تفلّ الحديد، ويحتاج إلى انطلاقة صارمة في مسألة وضع المنهجية الدقيقة والبرمجة الآلية (الحاسوبية) فهما باب الوقوف على الأرض الصلبة، فإذا اختل المنهج أو البرمجة أو الطريقة يبقى العمل ناقصاً، وتحقق به آيات النكران. ولكننا الآن نحتاج في هذه المرحلة إلى وجوب الانطلاق في مشروع القرن، أو مشروع الألفية الثالثة، فالانطلاق هو الذي يوضّح بعض المعطيات التي يجب أن تُسلك، كما يُجلي الكثير من الالتباسات، فلا بدّ أن ننتقل في معلّم حضارتنا وسياج هويتنا في القرن المعاصر.

إنّ عملي هذا مساهمة في إبداء رأيي في كفايات الإنجاز، وفي المبادرات والأفكار والخطوات التي تتخذ في عمل المعجم التاريخي وهو في خطواته الأولى إلى المرحلة النهائية، وعسى أن أفيد ببعض الأفكار التي قد تعمل على التصويب أو التوجيه، فما خاب من استشار، ووسّع الفكرة واستنار.

سأقسم العمل إلى جزأين أساسين هما:

- **الجزء النظري:** وفيه أستعمل لغة المرافعات والمنافحات بالحديث عن احتياجنا للتأريخ للغة العربية، وما يلحق ذلك من تعاريف، ومواصفات، ووظائف المعجم التاريخي... وما يتبع ذلك من إستراتيجيات وظيفية تسهّل عملية إنجاز معجمنا التاريخي، وهذا بوعي الأهمية التاريخية والعلمية لهذا المعجم، والنقيصة الكبيرة التي تعاني اللغة العربية من عدم وجوده، دون مقارنة العربية باللغات الأخرى التي تحتكم إلى المعجم التاريخي، والعربية لا تتوفر عليه، ويضاف إلى ذلك أنّ كلّ تأخير فيه يسبّب نقصاً في المعلومات.

- **الجزء التطبيقي:** سيكون الحديث فيه عن الإجراءات العلمية والعملية والمنهجية العلمية والتطبيقية التي أرى ضرورة تبنيها في هذا المعجم، وما هي مستلزمات مراحل الإنجاز إلى غاية الإخراج، وسوف أتجاوز ثقافة الكلام، وتقديم التوصيات، إلى ثقافة الفعل والإنجاز، والاتّجاه إلى تحديد المشروع، وصناعة برامجه، وإنتاج تقنياته، وهي الخيار الأمثل لدخول مسارات الفعل بالقوّة.

الجزء النظري: إنّ تدوين تاريخ اللغة العربية يعني تدوين لعبقرية لغة لا مثيل لها في التاريخ، لغة شهد بعظمتها المعاندون، دون الحديث عن المخلصين لها، لغة خدمها بقوة عرب وكثير من العجم، فبالعرب بقيت وبغير العرب ارتقت، وهذا للخصوصية التي تحملها ولا توجد في اللغات الأخرى؛ لغة خدمها وأنصفها كثير من المستشرقين؛ فهذا جرونباوم يقول في مقدّمة كتابه (تراث الإسلام) «إنّ اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر، وهي لغة عبقرية لا تدانيها فيها لغة في مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتّسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة، كما يقول المستشرق الألماني بروكلمان الذي أرّخ للفكر والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى الآن في سلسلة كتبه الشهيرة وتاريخ الأدب العربي، يقول: إنّ بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتّساع مدّى لا تكاد تعرفه أيّ لغة» (1). فإذا وقع التنويه باللغة العربية من قبل المخلصين الذين يعرفون

(1) غ / محمود حافظ، كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية بمصر، ص 37-38.

القيمة العلمية والروحية لهذه اللغة، فيعني ذلك الإنصاف ثم الإنصاف، كما لم ينكر المعاندون ذلك، رغم ما يبدونه من أقوال على هذه اللغة التي يرون فيها -في الوقت المعاصر- أنها لا تلبي آليات العصر، وأنها تجاوزها الوقت، ويعني -في نظرهم- التخلي عنها؛ لأنها لا تستجيب لآليات المعاصرة، ويقبحون فيها هذا البعد الزمكاني الذي لا يوجد في كل اللغات، ومن هنا يرون فجوة كبيرة في صعوبة السيطرة على مدوّنتها الطويلة والضخمة، ويعني ذلك صعوبة التأريخ لها.

يمكن أن نقول: إنه ليس بالأمر اليسير السيطرة على مدوّنة اللغة العربية في القريب العاجل، فليست المسألة مسألة سنة أو سنوات، فالعمل يحتاج إلى سنوات طوال، وإلى أحقاب متعاقبة؛ حتى تستوي الأمور خلقاً سوياً، ولكن ليس بالمستحيل حصول ذلك، وليس صعباً ربط الحلقة القُدّمي بالمعاصرة وكل ما نحتاجه هو الجمع المحوسب الذي يردم هذه الفجوة الطويلة، فمن السهولة أن نتابع أعمال السلف في متابعة الجمع الشامل الذي خضعت له اللغة في البدايات الأولى، وهذا ما يراه الأستاذ صادق عبد الله أبو سليمان؛ والذي يقترح استدراك ذلك عن طريق الحوسبة الآلية، فيقول «ويتمّ بمراجعة جمع القدماء لها، ومتابعة جمعها بعد عصور الاحتجاج حتى اليوم، ومواصلة هذا العمل بعده، وسيوفّر هذا الجمع المحوسب للغة العربية معلومات لم يكن من السهل الحصول عليها بالعمل البشري المحض؛ حيث سيظهر الاستقرحساء المحوسب للغة العربية تأريخاً شاملاً للغة في المفردات والتراكيب والأساليب، وسيكشف عن قديمها الذي خفّ استعماله أو انقرض أو استمرّ في العصور التالية وسيفصح عمّا جدّ فيها في مراحل العربية المتعدّدة، وليس لها وجود في المعجميات العربية التي تقيّد واصفوها بفلسفة اللغويين القدماء في دراسة اللغة، ولاسيّما تقيّدهم بأصول نظرية الاحتجاج، حيث سيعين على الكشف عن ملامح التغيّر في اللغة؛ كظهور ظواهر صوتية أو صرفية أو تركيبية جديدة واختلاف دلالات الألفاظ والتراكيب في العصور أو البيئات العربية المتنوّعة، وسيمكن العلماء بأوامر محوسبة من ترتيب اللغة زمكانياً، وتصنيفها سياقياً وعلمياً... الخ.» (1). وهكذا نرى بأنّه لا يوجد المستحيل في تقادم عهد العربية أمام التقنيات المعاصرة، فيمكن استدراك التأخير إذا وقع الاهتمام بتوظيف الآليات الحديثة، أي الرقمنة المعاصرة، وتثوير تشقيق خصائص اللغة العربية، ضمن الفعاليات التي حوسبت بها اللغات في الوقت المعاصر، وهذا ما نراه على سبيل المثال في معجم الذخيرة الفرنسية أو الموسوعة البريطانية...

(1) «نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها» مجلة المجمع الجزائري. الجزائر: 2007، العدد 6، ص 60 - 61.

إنَّ المعجم التاريخي للغة العربية المنتظر، فعلاً سيكون معجزة العرب أجمعين، فيحتاج إلى تناول المسائل عن طريق الجمع والضمّ والعمل الدعوى، والطلب الحثيث من بدايته إلى النهاية: تصنيفاً ونقلًا وتدويناً وتفسيراً وشرحاً وسرداً وإلحاقاً واستقراءً وتخريجاً... كلّ لفظ مهما علا وانحطّ، كان مستعملاً أو مُماتاً مهجوراً أو عقماً أو نادراً أو نادياً... يحتاج المعجم التاريخي المنتظر إلى تتبّع المادة إحصاءً وعداً وشرحاً وتفصيلاً، وتعليلاً، وتأويلاً... كما يحتاج إلى تناول كلّ لفظة بدراسة تطوّر دلالتها ومدلولها وبنائها، واشتقاقها، ووزنها، وتصريفها، وإلحاقها، يحتاج كلّ لفظ إلى مراعاة اعتباطيته وتكييفه، وتصويتيه وتعقيبه، واستدراكه، وتحقيقه، وتمكينه، وتذكيره، وتأنيثه، وإفراده، وتثنيته وجمعه، وتقييده، وإطلاقه. إنَّ المعجم التاريخي لا يستثني جنساً أدبياً ولا يغفل علماً من العلوم، ولا فناً من الفنون فالمشروع وإن كان لغوياً فهو متعدّد الوجوه «بحسبان أنّ التأريخ للغة هو تأريخ للحياة العامة في تطوُّرات مسيرتها منذ أن نطق الناس بهذه اللغة أو تلك» (1)، إنَّ عمل المعجم التاريخي للغة العربية ليس المقصود منه الفهرسة، بل يستهدف دراسة التطوُّرات الدلالية عبر العصور بالتدقيق والتمحيص وإعمال النظر.

1 - احتياج العربية إلى التأريخ للغة العربية: إنَّ المعجم التاريخي ضرورة لا غنى عنها، فهو الأداة الوظيفية المتعدّدة الأهداف، وذاكرتنا التي تضبط رصيدنا المعرفي، ومرجعنا الأمين؛ يؤرّخ لقضايانا، ويؤصّلها من خلال ما فيه من شواهد على نمو اللغة العربية الطبيعي والمجتمعي. والتأريخ للعربية يجب أن يأخذ أبعاده القومية والعلمية والحضارية والتربوية، بغية الكشف الدقيق عن المراحل التي عرفتتها اللغة العربية في غابر أزمانها، والمراحل التي مرّت بها إلى الوقت الحاضر الذي سايرت فيه الوضع الحالي ومعطيات القرن الواحد والعشرين، ومن هنا فإنَّ المعجم التاريخي:

* سيؤكّد هويّتنا من خلال دراسة اللغة العربية، والعمل على التأريخ لها، ولا شكّ أنّ هذا له دور في التعبير عن تلك الهوية، باعتبار رصيد الأمة العربية الفكري وذاكرتها اللغوية والثقافية هي اللغة العربية،

* سوف يسدّ المعجم التاريخي فراغاً في قلة المصادر والمراجع، وسوف يجيب حقيقة عن كلّ خصوصيات اللغة العربية بعمق وبدقّة متناهية، مركّزاً على النواحي التطوُّرية، دون أن تخرج عن نظامها اللغوي العام،

* ستوضع العربية بفضلها موضع اللغات العالمية الحيّة التي أنتجت معاجمها التاريخية،

(1) عبد العزيز بن عثمان التويجري «المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية» بحث ألقى في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

* سيؤكد المعجم التاريخي الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي اللغة العربية، ويوضح مدى ارتباط هذه اللغة بأهلها وحضارتهم، وبالأجناس الذين خدموها عرباً كانوا أم غير عرب،

* سيؤكد المعجم أصالة اللغة العربية وعمقها السحيق، وسيساعد على دراسة اللغة العربية دراسة علمية ووصفها وصفاً لسانياً دقيقاً، ويجيبنا عن قدمها بين اللغات العروبية،

* سيعرّفنا المعجم التاريخي على العربية القدمى، وعلاقتها باللغات العروبية (السريانية الثمودية، الصفوية، الحبشية، النبطية، العبرية، الكنعانية...)،

* سيدحضّ المقولة الخاطئة: السامية أمّ اللغات،

* سيكون المعجم التاريخي مرجعاً لكلّ المطالب، وسيلبّي رغبات كلّ باحث في اللغة العربية،

* سوف يجيب كلّ سائل عن أية لفظة، شاهد، مسكوك، مثال، وصف، حيوان، جماد... .

قيل في اللغة العربية،

* سيتمكن من تدقيق قواعد اللغة العربية، كما يساعد الباحثين في كلّ الاختصاصات من إنجاز أبحاثهم بشكل دقيق،

* سيتمكننا من تدقيق معاجمنا المدرسية، ومن تصحيح شواهد العربية،

* سيتمكننا من الوصول إلى المادة الأصل في اللغة العربية، والوصول إلى كلّ المظان، ويكون مادة لوضع المعاجم المتخصصة،

* ستدخل العربية عبره ميدان الصناعة المعجمية، وسوف يكبر فيها الاهتمام بما تملكه من زاد معرفي قديم حديث؛ يكشف عن أصالتها وعلميتها.

بإنجازنا لهذا المعجم يمكن أن نقول: إننا نستطيع تحرير تاريخ معجم اللغة العربية بصورة متكاملة متّصل الحلقات، مستوعب لكلّ الجوانب، وبه يكتمل وعينا بلساننا المبين، ونذكر صراعه من أجل البقاء والازدهار.

إنّ التأريخ للغة العربية لذاتها يستدعي تأريخاً يستتبع مراحل نشأتها في البداية، فنحاول التعرّف على ظروف نموّها وارتقائها وتغيّرها وتطوّرها، من خلال ماضيها الطويل بمنعطفاته العديدة وخطوطه المتشابكة المعقّدة، وتحدياته الكثيرة المتلاحقة، كما يستدعي ذلك الرجوع إلى البلاد التي ساهمت في دراسة وترقية وحفظ تراث العربية؛ والذي يتوزّع على كلّ من مصر وبلاد الشام - العراق - الجزيرة العربية - إيران وآسيا الوسطى - المغرب العربي - بلاد الأندلس - الدولة العثمانية والبلقان - شبه القارة الهندية - جنوب شرق آسيا - شرق إفريقيا وغربها - جزر القمر... . ومن خلال كلّ هذا نرى كيف صارت اللغة العربية من أجل البقاء والازدهار في مختلف البلاد وكيف لا يزال هذا الصراع مستمراً في بعض هذه البلاد.

إنّه عندما نُؤرِّخ للغة العربية لا نقف عند تصوير الوضع الماضي والحاضر، فالعربية غنيّة بمعجمها كلّ الغنى، كما يقول نولدكه «إنّا لیتملّکنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم...» بل نذهب إلى ما هو أبعد؛ فنستشرف آفاق مستقبلها، ذلك ما يخطّط لدعم ما يتوقّع في المستقبل، وهذا ما يطرحه الأستاذ محمد سالم الجرح، في بحث له موسوم (التأريخ للعربية أهميته ودراساته ومناهجه) فمن خلال سؤال طرحه: لماذا نحتاج إلى التأريخ للعربية؟ ويردّ ضرورة التأريخ إلى أسباب ثلاثة هي:

1- «الربط بين اللغة العربية المجيدة، والقرآن الكريم، ثمّ التكریم والتقدیس اللذان نالتهما العربية جرّاء هذا الربط، وسيبقى القرآن «معلماً تاريخياً بارزاً في تطوّر اللغة العربية، وكان هذا التطوّر نتيجة انتقال العرب من عصر التفرّق القبلي إلى عصر التوحّد في ظلّ الراية الإسلامية. وقد دخلت منذ ذلك الحين في اللغة العربية مئات من الألفاظ الجديدة، ومثلها من ألفاظ قديمة اكتسبت دلالة إسلامية، فلا بدّ من وقفة متأنية عند الألفاظ والاستعمالات القرآنية لتعرّف دالاتها ومواطن استعمالها» (1)،

2- معرفة تاريخ العربية ييسّر علينا بيانها، وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها أو بلاغتها أو عروضها أو معجمها وأدبها،

3- التصدّورات المتاحة عن الظاهرة اللغوية، تحفزنا إلى التأريخ للغة، فتصدّور لنا انتماء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل ومجموعات، وهذا أمر لم يتمثّله الأقدمون على نحو ما نتمثّله الآن (2).

إنّ التأريخ للغة العربية يعمل على:

< تعميق فهمنا لطبيعة اللغة العربية العريقة،

< التعرّف على كلّ ظروفها وأصولها، وما عرفته من تفاعل مع غيرها، والتعرّف على مستوياتها،

< إبراز جوانب تميّزها،

< التمكين الجيّد في تقديم حلول لما يواجهها من صعوبات،

< جعلها لغة علمية تعيش راهنها في مختلف العلوم.

(1) إحسان النص «قضايا التعريف الدلالية في المعجم العربي التاريخي» بحث أُلقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والسبعين، سنة 2006.

(2) مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة: 1975، الجزء الخامس والثلاثون، ص 90-110.

2- تعريف المعجم التاريخي: إنَّ المعجم في التعريف العام هو: ديوان يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتَّبة وفق نظام معيَّن، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها. وإنَّ ما أُشير إليه في التعريف التقليدي هي الملامح اللغوية، فالمعجم التاريخي يعني بالتطوُّر التاريخي الذي يدور في فلك التتبُّع لدلول الكلمة عبر التاريخ؛ من تطوُّر، وتدرُّج، وحركة، وتنوُّع سياقي، مؤيِّداً ذلك بالشواهد على اختلاف أنماطها وبيئاتها. فالمعجم التاريخي ديوان العربية؛ لأنَّه يضمُّ ألفاظها وأساليبها، ويبين تاريخ استعمالها أو إهمالها، كما يظهر التطوُّر الحاصل في معانيها ومبانيها عبر العصور. وهناك تعاريف كثيرة حول هذا المعجم، وإنَّ ما يقع عليه التركيز في هذا التعريف مستخلص من خلال أهداف وخصائص المعجم التاريخي، وما أراه من سبيل يخدم غرض المعجم التاريخي، ويعرفه الأستاذ علي القاسمي «... هو نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبُّع تطوُّرها منذ أقدم ظهور مسجِّل لها حتى يومنا هذا، وذلك يعني أمرين:

الأول: أن يضمَّ المعجم التاريخي كلَّ لفظ استُعمل في اللغة، سواء يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا.

الثاني: أن يوثق المعجم تاريخ كلَّ لفظ في شكله ومعناه، واستعماله مثلاً لهذا اللفظ بعدد من الشواهد (1)». ونرى الأستاذ القاسمي يوضِّح المعلم الهام في المعجم التاريخي بأنَّه يضمُّ كلَّ لفظ استعمل في اللسان العربي، وما عرفه من تطوُّر دلالي عبر الزمان، مقروناً ذلك بالشواهد، فهذا جزء أساس في أهداف المعجم التاريخي، وهناك جوانب أخرى يكشفها المعجم التاريخي في تراثنا القديم بغية التأصل الحقيقي للغة العربية التي عرفت زماناً قديماً، وتطوُّرات في ألفاظها، واحتكاكها بغيرها من اللغات.

إنَّ المعجم التاريخي في دلالته اللغوية يبحث عن الأصول اللغوية، والعلاقة العضوية بالأصول القديمة؛ حيث يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها، بل ومنذ ولادتها إلى وقتنا الحاضر. ومن هنا يجب أن نتقدَّم إلى تراثنا؛ بدءاً من نقيشة رم الثاني الذي كتبت حروفه بعدة رموز، إلى نقش أُسيس، فنقش يُؤطر، وإلى نقيشة النمارة وما والاها من النقوش، وأن نعود إلى اللهجات العروبية القديمة ونقوشها بالعمل على إحصائها والإحاطة به، ودراسة خريطة اللهجات والهجرات، ولا بدَّ في هذا المقام من العودة إلى أهل الاختصاص للتعرف على اللهجات العربية القديمة بالشكل الذي يطرحه المختصُّون:

(1) ع / موقع google بتاريخ 28 فبراير 2008.

*** اللهجتان العربيتان الأكديتان :**

* — 1 — اللهجة العربية الأكادية البابلية

* — اللهجة العربية الأكادية الآشورية .

*** اللهجات العربية الكنعانية :**

* — اللهجة العربية الكنعانية (الفينيقية)

* — اللهجة العربية الكنعانية (البونيقية)

* — اللهجة العربية الموآبية و (الأدومية) .

*** اللهجات العربية الكنعانية العمورية بفرعيها :**

* — اللهجة العربية الكنعانية العمورية الإبلانية

* — اللهجة العربية الكنعانية العمورية الأجارية .

*** اللهجات العربيات الآرامية بفروعها :**

* — اللهجة العربية الآرامية النبطية

* — اللهجة العربية الآرامية التدمرية

* — اللهجة العربية الآرامية المنعدية

* — اللهجة العربية الآرامية الحضرية

* — اللهجة العربية الآرامية السريانية

* — اللهجة العربية الآرامية لمعلولا وبخعة وجبعدين .

*** اللهجات العربية العدنانية :**

* — اللهجة العربية العدنانية الفصحى

* — اللهجة العربية العدنانية الثمودية

* — اللهجة العربية العدنانية الصفائية

* — اللهجة العربية العدنانية اللحيانية و (الديدانية) .

* اللهجات العربية القحطانية بفروعها :

- * – اللهجة العربية القحطانية السبئية
- * – اللهجة العربية القحطانية المعينية
- * – اللهجة العربية القحطانية الحضرية
- * – اللهجة العربية القحطانية الأوسانية
- * – اللهجة العربية القحطانية القتبانية
- * – اللهجة العربية القحطانية الحميرية
- * – اللهجة العربية القحطانية الثمودية
- * – اللهجة العربية السينائية .

* اللهجات القحطانية النقوشية والمحكية حتى الآن :

- * – اللهجة العربية القحطانية المهريّة
- * – اللهجة العربية القحطانية الشحرية (الجبالية، الاحكيلية، الشحوحية)
- * – اللهجة العربية القحطانية السقطرية
- * – اللهجة العربية القحطانية الهوبوتية
- * – اللهجة العربية القحطانية البطرحية
- * – اللهجة العربية القحطانية الحرسوسية .

* اللهجات العربيات البربرية :

- * – اللهجة العربية البربرية اللوبية
- * – اللهجة العربية البربرية الأمازيغية
- * – اللهجة العربية البربرية الطوارقية
- * – اللهجة العربية البربرية الشلحية
- * – اللهجة العربية البربرية الريفية .

* اللهجات العربيات المصرية :

- * – اللهجة العربية المصرية الهيروغليفية
- * – اللهجة العربية المصرية الديموطيقية
- * – اللهجة العربية المصرية الهيراطيقية
- * – اللهجة العربية المصرية القبطية .

ويبقى الباب مفتوحاً لكلّ اكتشاف لهجي أو نقشي (1)، أو اللهجات المتقاربات مع اللهجات العربية وهذا في حدود ما يمكن الوصول إليه، باعتبار أنّ هذه اللهجات العربيات القديمة تنتمي في جذورها إلى العربية الأم، ولكن تنقصنا بعض دقائقها، فيكون احتياجنا لها للاستئناس أثناء دراسة الأصول الأولى للغة العربية. وأما المعجم التاريخي فيتعلق فقط بدراسة اللغة الفصحى، وبدايات تأسيسها، كما لا يمنع هذا من الرجوع إلى ما خُطّ على أوراق البردي (2)، وما كان مكتوباً على الورق، وما حُقّق، وما يزال مخطوطاً، وأنّ نجلي المادة اللغوية من حروفها إلى جملها، ومن أفعالها إلى أسمائها، ومن جذورها إلى زوائدها ومتّمّاتها، ومن أصولها إلى مستحدثاتها، من مرفوعات إلى منصوباتها، ومن مجروراتها إلى مسكوناتها...

إنّ المعجم التاريخي هو ديوان لكلّ الأحداث، ولتاريخ اللغة العربية في مختلف التخصصات وسجل واقعي للمعارف والخبرات، وللحياة عامة بكلّ مظاهرها، فهو رصد دقيق لتوظيف الكلمات العربية في كلّ الكتابات في مختلف القارات، وتصفّح لمعاني الكلمات من خلال نصوصها وسياقاتها عبر الزمان بكلّ استفاضة وشمولية بتغطية كلّ المجالات، وبالرجوع إلى كلّ النصوص المحرّرة باللغة الفصيحة. ولا بدّ أن نقف موقفاً دقيقاً لشرح آليات المعجم التاريخي بكلّ تفصيل، وهاكم ما استطعت حصره:

أولاً: نضع في الاعتبار أنّ المعجم التاريخي للغة العربية ليس معجماً عادياً، ولا موسوعة مطوّلة بل هو ديوان لغة العرب؛ باعتبار أنّ اللغة العربية أوسع الألسنة لكثرة انتشارها وشموليتها، وكتب فيه العرب وغير العرب.

ثانياً: مراعاة خصوصية هذا اللسان؛ من حيث قدمه وعلاقته باللغات العروبية القدّمي، إلى جانب أنّه لسان الوحي والناموس،

ثالثاً: لسان له سلطان عرب الجنوب عامة، ولسان حمير خاصة، ولسان عرب الشمال الذي أصبح مثلاً يُحتذى بعد القرن السادس الميلادي،

(1) محمد علي مادون «النقوش (النقائش) ومدوّنات اللهجات العتيقة وقصة المدوّنة العربية الموحدة لنقوش اللهجات القديمة بين الإهمال والإمهال» مطبوعة وزعت في ندوة (نقوش اللهجات العروبية القديمة - ليبيا - طرابلس 5/10/2005) مجمع اللغة العربية بطرابلس. ليبيا.

(2) يقول محمود فهمي حجازي في بحث له مقدّم إلى الدورة الثانية والسبعين في مجمع القاهرة سنة 2006 «البرديات العربية من أهمّ مصادر المادة إعداد المعجم التاريخي للغة العربية، عددها في مجموعات البرديات في عدد من مكتبات العالم نحو مائة ألف ورقة بردي، ومنها مجموعة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، طبع عدد منها في ستّ مجلدات، نشرها العالم النمساوي أدولف جروهمان، وكان إعادة نشرها باكورة عملي في دار الكتب 1994م. هذه المجموعات وغيرها تناولتها دراسات لغوية شتّى، ولكنها لم تستوعب في معجم لغوي للبرديات العربية التي تمثّل مرحلة مهمّة في تاريخ تعريب مصر، وفيها كلمات أصبحت من رصيد العربية في مصر، ومن حقّ المثقف أن يعرف تاريخها».

رابعاً: لسان فيه ألفاظ أميتت، وألفاظ هُجرت، وألفاظ تبدلت وتغيّرت دلالتها، ألفاظ تحتاج إلى قيد شواردها.

ومن هنا فإنّ المعجم التاريخي للغة العربية:

* يسجل كلّ لغات (لحون) العربية المكتوبة، بدءاً من القدامى، فيبدأ من تلك اللغة المدوّنة والتي تمتدّ جذورها من دوحة لغة عاد وطسم وجديس ويعرب وقحطان وجرهم وقطراء، وغيرها من القبائل العربية، فيسجّل لغة عدي بن زيد في الحيرة، ولغة أمية بن أبي الصلت في الطائف، وكلّ من عاشوا في بلاد الحيرة، وفي بلاط الغساسنة في الشام، معجم يسجّل ما توارثناه من عربية الرهبان واليهود والنصارى وأهل الفرس،

* يعمل على تحقيق أثل اللفظ من فصيلة ما من فصائل اللغات المنتشرة على صعيد شبه الجزيرة العربية، ثمّ خارج الجزيرة العربية،

* يولي مسألة التعريف الدلالية أهمية خاصة، ويعالجها من جميع جوانبها، وهو لبّ الأمر في المعجم التاريخي؛ لأنّه يغوص في حمولة اللغة عبر العصور والأزمان، وما عرفته المادة من تحولات في المبنى والمعنى،

* معجم شامل كبير موسّع «يتقصى معاني اللفظ في مختلف العصور والبيئات، ولدى كلّ الطبقات الاجتماعية؛ سواء كان اللفظ عربياً أياً فصيحاً، أم كان معرباً أو دخيلاً، أم مولداً. تذكر معانيه كلّها دون إهمال معنى منها، مع مقارنة هذه المعاني في لغتها الأصلية في المعرب والدخيل بمعانيها في العربية(1)»،

* معجم لا يتوخّى الاختصار؛ لأنّ غرضه تسجيل وتصنيف وعدّ وتحليل كلّ لفظ عربي،

* معجم لا يترك الرسائل ولا التصانيف المطوّلة والأسفار الكثيرة، ولا يهمل الغريب،

* معجم لا ينسى تلك التصانيف التي ما زالت رهينة القماطر حبيسة القرايطيس؛ الموزعة

في خزائن المكتبات بجميع المخطوطات،

* معجم لا يستثني المنظومات والألفيات، وسائر الصنائع السجعية والمقامات، وما نجده

في الأسفار الأدبية والتاريخية والعلمية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية والنفسية، دون أن ننسى السير وكتب الطبقات وكتب المعارف،

* معجم لا يترك كتب معاني القرآن، ومجازه، ومشكله، وإعجازه، وغيرها من المصادر، سالكاً

التأريخ من القديم، والتدرّج في التأريخ إلى الآن،

(1) عباس الصوري «في المعجم التاريخي» بحث ألقى في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

* معجم يتتبع كتابات الأئمة وعلماء العربية السالفين واللاحقين والخالفين حسب التسلسل المنطقي التاريخي،

* معجم لا يترك قول شاعر من الشعراء، فلا يترك لفظة شعراء المعلقات، وسائر الجاهليين والشعراء الجاهليين المثقفين، والشعراء المقلّين والمخضرمين، وسائر الشعراء القرشيين وشعر المجهولين والشعراء الأكثر احتجاجاً بشعرهم، بدءاً بالأدنى فالأدنى،

* معجم تلعب فيه الشواهد الدور الهام، ومنها تختار المداخل، ومن سياقاتها تخرج معانيها ومنها نستدلّ على تطوّرها عبر العصور،

* معجم لا يترك لفظة من الألفاظ المسماة بالوحشية والمتناهية في الغرابة والندود، قصد التماس الأصالة والفظرة،

* معجم يعود إلى لغة النثر والشعراء: صعاليكها وشذاها وخلعائها وعمايرطها والشعراء اللصوص،

* معجم يلاحق كلّ صغيرة وكبيرة مهما تلاحقت الأعصار، وتواردت الأدهار. وأتدلف من جانب آخر للقول: إنّ المعجم التاريخي للغة العربية رصيد كبير وعظيم جمّ وهام يحتاج إلى تدوين يضع حداً للخلافات الدلالية واضطرابها وخبالها، ومن حيث وزنها وإفرادها وجمعها.

2/1- خصائصه: يتناول المعجم التاريخي التحديد الدقيق للكلمات واستمرارها أو اختفائها، كما يعمل على تحليل لغة كاتب / شاعر / قاص / روائي / عالم / خطيب / طبيب / جرّاح / طيار / مهني... وإحصاء مفرداته بكيفية آليّة، ويعرّف عبد المنعم عبد الله محمد المعجم التاريخي قائلاً «ديوان يجمع مفردات اللغة مرتّبة وفق نظام معيّن، ومشروحة مع مراعاة التطوّر الدلالي للفظ، بدءاً بالمعنى الحسي، وتدرّجاً معه عبر التاريخ في ضوء الشواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التطوّر قدر الإمكان(1)».

إنّ المعجم التاريخي المنشود يستفيد من مثالب المعاجم القديمة، رغم اختلافه عنهم، فلا يقف عند عصر، ولا يدرس الكلمة مجردة عن نصوصها، ولا يضيق متنه بكلّ ما دوّن في العربية، فيضمّ القديم كلّّه، ويستوعب الجديد المتوالي، ويبقى مفتوحاً لتعاقب الأجيال، يعمل على دراسة المستوى الدلالي للغة في ضوء مباحث وقضايا علم اللغة التاريخي؛ بالرجوع إلى كلّ النصوص العربية والإشارة إلى مصادرها، ويدلّلنا على الاستعمال الأول، ومن مستعمله، وأين، ومتى، ومدلول اللفظ، وشيوعه أو عدم الشيوع. وإنّ المعجم المنشود كذلك لا يقف عند

(1) «المعجم العربي التاريخي (مفهّمه - وظيفته - محتواه)» مجلة المعجمية. تونس: 1990، العدد 5-6، ص 160.

حدود جمع التراث، بل أن يستجيب للمعاصرة، ويكون شاملاً وسهلاً ومجيباً لكلّ المرغوب، باستغلال التقنيات المعاصرة «ومّا لا شكّ فيه أنّ التطوّر العلمي والحضاري والمعرفي الذي وصل إليه العالم اليوم، والتقدّم الهائل في وسائل البحث وأدواته، يضاف إلى ذلك الحاجة الشديدة إلى اختصار الوقت والحرص عليه؛ أمام التسارع الكبير فيما ينشر في اللغة اليوم، وحاجة الباحثين إلى متابعة ما أمكن منه، كلّ ذلك وغيره يتطلّب إعداد معجم عربي معاصر؛ يواكب النهضة المعاصرة، وفيه بمتطلباتها، ويعين الباحثين، ولا يستهلك وقتاً طويلاً عند الرجوع إليه ويشتمل على جميع الألفاظ، ويعتمد منهجاً دقيقاً في إيراد المعاني وترتيب الألفاظ، ويفيد من التطوّر الثقافي لتسهيل عملية الرجوع إليه⁽¹⁾»، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، علينا الاحتجاج بالتجارب الناجحة، من مثل التجربة الناجحة لمعجم أكسفورد التاريخي الذي سجّل مفردات اللغة من حيث مبانيها ومعانيها تأريخياً، فقد غطّى مفردات اللغة الإنجليزية تغطية شاملة؛ حيث سجّل تاريخ استعمال الكلمة ونمو معناها وصلاتها، كما سجّل الكلمات المهجورة، وحدّد آخر استعمال لها.

إنّ المعجم التاريخي له صفات حدّدتها تلك اللقاءات العلمية التي قامت من أجل التعريف العلمي للمعجم التاريخي، وكما تعرّفه أدبيات المعاجم التاريخية عند الأمم التي سبقتنا في إنجاز معاجمها التاريخية، فهو يُظهر تطوّر دلالات الكلمات، ويرتّب المادة (المداخل الأساس) ثمّ الفروع (المداخل الفرعية) ويعتمد الجذور في تصنيف المادة. ويقترح محمد فهمي حجازي أنّ كلّ مدخل في المعجم التاريخي يحسن به أن يتضمّن المعلومات التالية:

- أ- صيغة الكلمة وتدوينها،
- ب - تأصيل الكلمة،
- ج - نوعها من حيث أقسام الكلمة،
- د - المجال التخصّصي لاستخدام الكلمة،
- هـ - مكانها التاريخي (بائد، مستعمل، عامي...)،
- و - صيغها التعريفية (الجمع، التصغير، النسب... الخ)،
- ز - تاريخ أقدم نصّ وردت فيه الكلمة،
- ح - دلالات الكلمة من خلال النصوص الموثّقة

(1) رئاسة الجمهورية السورية، الموسوعة العربية، علي أبو زيد «المعجم المنشود» ط1. دمشق: 2007، المجلد التاسع عشر، ص 76-77.

ط – شواهد دالة على المعاني في ضوء نصوص من الكتب وترتب تاريخياً، وتكون قائمة الكتب المشار إليها في آخر المعجم» (1).

كما يظهر المعجم المعاني الحقيقية للألفاظ العربية في صورتها الأولى، وفي مختلف تطوّراتها وأثر الاحتكاكات اللغوية، وعامل الاقتراض من اللغات الأخرى، ويستدعي الوصول إلى كلّ النصوص، وفي مختلف البلدان والبيئات، ويتعرّض إلى كلّ المجالات والمفاهيم، وإلى المشترك والمترادف، وإلى الصيغ المركّبة والمسكوكات، والاستعمال الحقيقي والمجازي، وغيرها من الصوّر البيانية.

3 – أهدافه: يبدو لي بأنّ للمعجم التاريخي للغة العربية عدة أهداف، ويمكن تلخيصها في هذه النقاط:

- * الإطلاع على كلام العرب وحضارتهم،
- * معرفة ما حصل من تطوّر في الدلالات العامة والخاصة لكلّ لفظ،
- * معرفة ما هجر من ألفاظ وما استحدث،
- * معرفة المصطلحات ودلالاتها عبر الزمان،
- * معرفة المباني والمعاني والصيغ والتراكيب والجوانب البلاغية لألفاظ اللغة،
- * معرفة الحقول الدلالية لألفاظ اللغة،
- * معرفة اللفظ الأصيل والمؤلّد والأجنبي،
- * معرفة زمن استعمال اللفظ، ومن استخدمه، وأين، وفي أي عمل، وعدد مرات تكراره،
- * الترسّخ العلمي للغة العربية، ووجود مدوّنتها الكبرى، وتغني عن كلّ المدونات العربية،
- * إنجازنا للمعجم التاريخي، يكون أرضية لاستخراج المعاجم الآلية المتخصصة.
- * إفادة بمعلومات تخصّ الكلمة العربية عادية كانت أو مصطلحاً،
- * معجم يكشف عن تاريخ ظهور الكلمة، وبأيّ معنى، وما المصدر الذي وردت فيه، وما هي السياقات التي وردت، وما المجال المفهومي الذي تنتمي إليه، وكيف تطوّرت دلالتها،

(1) «المعجم التاريخي ومتطلبات المثقف المعاصر» بحث أُلقي في الدورة الثانية والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2006.

- * إفادة بمعلومات تخصّ الجذور،
- * إفادة بمعلومات أجناس الكلام،
- * إفادة بمعلومات عن الحروف والصيغ وما له علاقة بالعروض،
- * إفادة بمعلومات تخصّ الجانب الحضاري أو العلمي،
- * إفادة بكلّ ما له علاقة بالجانب اللغوي...

4 - إكمال الخطوات المنجزة في مجال المشروع: لا يجب أن نبخس بضاعة المتقدّمين في ما كتبوه عن المعجم التاريخي للغة العربية، أو كلّ عمل خدّم أو يخدم جانباً من جوانب المعجم التاريخي سابقاً ولاحقاً فوجبت الاستفادة من كلّ الأفكار التي قدّمت منذ أن كان المشروع حلمًا أو تصوّرًا، فالحضارة تبنى عن طريق وضع لبنة إثر لبنة، فيجب أن نكمل العمل حيث انتهى الأوّلون والمتقدّمون. تقول الروايات بأنّ أفكاراً ظهرت قبل العالم المجمع Fischer August (1865-1949) حول ضرورة إنجاز المعجم التاريخي، ولكن لفischer -الأستاذ بجامعة ليبزج- فضل إثارة قضية المعجم التاريخي للغة العربية أمام المؤسّسات العالمية، وهذا أسوة بالمعاجم التاريخية المنجزة في اللغات الأجنبية، وكان هذا قبل انضمامه لعضوية مجمع القاهرة؛ حيث سبق أن «عرض مشروعه على جمعية فقهاء اللغة الألمان في مؤتمرهم بمدينة بازل سنة 1907م، كما عرضه على مؤتمرين استشرائيين بكوننهاغن سنة 1908م وفي أثينا سنة 1912م، وعندما عرض مشروعه في كوننهاغن وافقت اللجنة المجتمعة على القرار التالي «ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر بمشروع أ فيشر الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر، ويعبّر عن موافقتها عليه بالإجماع(1)» كما نشير بأنّ المؤتمر الثاني قد حضره الأمير أحمد فؤاد، وإليه يعود تكوين مجمع فؤاد الأول للغة العربية(2)». ولقد استفاد فيشر من أعمال مستشرقين، ومن نصوص مستقراة، ومن مؤلفات ومخطوطات عربية قديمة، ومن التصرّو العام للمعجم التاريخي للغة الإنجليزية، ومن المعجم الفرنسي Littré، ومن ذلك بدأ يعدّ عدّته، وخاصة بعدما أصبح مدير القسم العربي الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق «بدأ في تجسيد فكرته عام 1914م عندما صار مدير القسم الإسلامي لمعهد أبحاث الاستشراق، وقد استعان في جمع مادته ببعض تلاميذه وخاصة برجشترابر Bergstrasser وشخت J. Schacht (جمع الأول لغة القرآن، والثاني لغة صحيح مسلم) وساعده جروهمان A. Grohmann بالألفاظ التي عثر عليها

(1) ع / إحسان النصّ «مشروع المعجم التاريخي للغة العربية مسيرة وتاريخ» مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق: 2007 المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص 80.

(2) محمد رشاد الحمزاوي «تاريخ المعجم العربي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائدة» مجلة المجمعية. تونس: 1990، وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها (نوفمبر 17.14 نوفمبر 1989).

في أوراق البردي العربية القديمة، وأهداه كرنكو F. Krenkow مجموعة من مفردات اللغة الواردة في الشعر العربي القديم» (1). ومن يومها يجمع المادة، وقد استوفى قسماً منها، وفي سنة 1936م يعرض فكرته على مؤتمر مجمع القاهرة، وأعطى له المجمع الضوء الأخضر لمواصلة مشروعه بكل عفوية حتى لقبوا هذا المعجم باسمه في أول الأمر (معجم فيشر الخاص) ولقد بذل فيشر جهداً لوضع معجم عربي على هذا الأساس، وقضى أربعين سنة في جمع مادته وتنسيقها، حيث لقي عمله اهتماماً في جميع البيئات العلمية. وعهد إليه مجمع اللغة العربية بنشر هذا المعجم، ولكن الموت حال بينه وبين إتمام عمله. وقد أحياه بعد ذلك من الألمان الأساتذة: شبيتالر، وكريم، وأولمان في جامعة توبنغن Tubingen فقاموا بجمع المادة التي تركها فيشر، وغيره من العلماء، واستعانوا بعدد من أهل التخصص في هذا الميدان، وخرجت أول كراسة من تلك الأعمال سنة 1957م (من أول حرف الكاف). ولكن عمل هؤلاء الأساتذة لم يكن يسير على منهجية فيشر، فلهم تصوّر مخالف يقرب إلى صيغة المعاجم المتخصصة لا غير.

لقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد وفاة أوجست فيشر جزءاً صغيراً، كما نشر «المقدمة التي كتبها فيشر، وقسماً من حرف الألف إلى مادة (أبد) إلى جانب نشره لنموذج أعدّه في صورة تقرير عن المعاجم العربية المقدّمة، وفيه الدعوة إلى وضع معجم لغوي تاريخي، ولقد حدّد تصوّره لما ينبغي أن يكون عليه المعجم التاريخي للغة العربية؛ حيث يشتمل على كلّ كلمة وجدت في اللغة العربية بلا استثناء، وتعرض كلّ كلمة حسب وجهات نظر سبع هي: التاريخية، الاشتقاقية، التصريفية، التعبيرية، النحوية، البيانية، الأسلوبية» (2). ويلخص محمد رشاد الحمزاوي فكرة فيشر من خلال الوجهات السبع بأنّه «... أراد أن يقدم تصوّره للنصّ المعجمي التاريخي. ولقد ركّز تصوّره على مفهومي الجمع والوضع، وخصّص للجمع نصيب الأسد. فلقد طرح مسألة التعريف الدلالي في الوجهة التعبيرية وأضاف إليها التعريفات الاشتقاقية. ومن ضمنها التعاريف الصوتية، والصرفية والنحوية والبيانية والأسلوبية، ممّا يوحي إلينا أنّه أراد أن يلمّ بجميع عناصر النصّ المعجمي في جميع أبعاده، مع التركيز على النواحي المهمّة من كلّ تعريف مثال ذلك الاهتمام بالصيغ الشاذة والاحتجاج بشواهد عدة» (3). وعلى الرغم من أنّ معجم فيشر لم يخرج إلى حيّز الوجود؛ فإنّ اهتمامه بنشر معجم للغة العربية قد حمّله على التنقيب في أمّات كتب النحو العربي، وشروح شواهد له جمع المادة اللازمة

(1) أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب، ص 305.

(2) لمزيد من التفصيل ينظر النموذج في أمانة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وينظر التفصيل في عمل قدّمه حلمي خليل في مجلة المعجمية التونسية حول (وقائع المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) تونس: 1990، مجلة جمعية المعجمية، العددان 65.

(3) النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي، د ط. تونس: د ت، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، ص 239.

لبداء عمله . و« كانت حصيلة ذلك كتابه (الشواهد النحوية) الذي نشره في سنة 1945م وهو يعدّ أداة طيّبة لدراسة هذه الشواهد»⁽¹⁾. إنّ للعالم أوجست فيشر تكويناً جيّداً في مجال المعجمية، ويبدو أنّه كان ينوي بناء معجمه على منهجية معجم أكسفورد للغة الإنجليزية OED، ومن هنا كان تصوّره يقوم على بناء المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية، فقد سنّ منهجيات لعلاج المعجم التاريخي وحصرها في سبع وجهات نظر، واعتمد كلّ النصوص المكتوبة والنقائش؛ بدءاً من نقيشة النمارة في القرن الرابع الميلادي، وكذلك المخطوطات مهما كانت اختصاصاتها ومبانيها.

ومهما يكن من أمر إطلاق تسمية معجم فيشر المعجم اللغوي التاريخي، الذي يراه بعض الباحثين ثابتاً بهذه التسمية، والتي لم نجد لها خلال بحثنا، وحيث يرى بعضهم أنّها من بين المثالب التي تسجّل على عمل فيشر، إلى جانب أنّه معجم تاريخي للآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري فقط أي يتعلّق فقط بعصر الفصاحة. ومهما تقوّلت الأقوال حول الفعل العلمي والحضاري الذي قام به فيشر فإنّ ما تركه يعدّ وثيقة هامة لا بدّ من الوعي بها. ولا بدّ كذلك أن يؤخذ البعض منها موضع الحسبان في منهج العمل الطموح، وفيشر الفضل الكبير في أنّه أعطى فكرة تدوين المعجم التاريخي للغة العربية وينبغي وضعها موضع التقدير.

إذاً كانت فكرة إصدار المعجم التاريخي مشروعاً منذ ثلاثينيات القرن الماضي، عندما تأسّس مجمع اللغة العربية سنة 1932، وقد وضع ضمن أهدافه فكرة إنجاز المعجم التاريخي الذي يؤرّخ لكلّ ألفاظ اللغة العربية بدءاً من العصر الجاهلي إلى الآن، فنصّ المرسوم التأسيسي للمجمع في المادة ب على «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيّر مدلولاتها»⁽²⁾، وهذا تماشياً مع اللغات الحيّة التي عملت على إنجاز معاجمها التاريخية من مثل: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، ومعاجم كثيرة للغات... وهذه الفكرة كانت حلم بعض المثقفين العرب الذين رأوا أهمية إنجاز هذا المعجم، وهذا ما علّق عليه رئيس المجمع (محمود حافظ) بقوله: «أمنية قد تبدو بعيدة المنال، ولكنّها عزيزة غالية، كثيراً ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا، وهي التصدي لإنجاز معجم شامل عملاق في مختلف فروع العلم والمعرفة، تتكاتف في عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة الدول العربية التي سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية في هذا السبيل»⁽³⁾.

(1) مجمع اللغة العربية، المجمعيون في خمس وسبعين عاماً. القاهرة: 2007، ص 576-577.

(2) إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً. القاهرة: 1962، ص 62.

(3) كلماتي مع الخالدين. القاهرة: 2006، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص 101.

ورغم هذا الحلم إلا أنّ الفكرة قد تتجسّد إذا كان وراءها طالب، فهذا الأستاذ مراد كامل ينبّه إلى ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية، وهذا من خلال المقدّمة التي كتبها في كتاب جرجي زيدان (اللغة العربية كائن حي) ويقول: « ومن هنا نرى أنّ النقص في دراسة تاريخ اللغة العربية واضح، إذا وازنّا بين ما تناولته كتب اللغة في الواقع، وما كان ينبغي أن تتناوله... فمهمّة العالم اللغوي أن يحصر الألفاظ، ويجمعها كلّ كلمة على حدة، عن أصلها واشتقاقها، وعن درجة قدمها، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها، أو اشتراكها فيها مع أخواتها السامية أو بعضها، وعن مصدرها إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولّدة... ومن تغيّر شكلها أو معناها، وبهذا يكون لكلّ كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكوّن المعجم من هذه الكلمات وتواريخها » (1).

وإذا كان هذا رأي الأستاذ مراد كامل فهو مصيب في قوله، والذي كان يجب أن يؤخذ مأخذ الجدّ في البداية لكسب الوقت. ولا نعدم الجهد العلمي الذي قام به مجمع اللغة العربية من خلال الدورات الثلاث لدراسة المعجم التاريخي وهي:

* الدورة الواحدة والسبعون،

* الدورة الثانية والسبعون،

* الدورة الثالثة والسبعون.

وما قامت به الجمعية المعجمية التونسية من بحوث هامة في ندوة لها حول: المعجم العربي التاريخي: قضايا ووسائل إنجازها. كما لا نغفل الجهد العربي المتميّز للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في مشروع: الذخيرة اللغوية، والذي أصبح يسمى (الذخيرة العربية) بعد أن نال موافقة جامعة الدول العربية في الدورة السادسة عشرة بالجزائر سنة 2005 (إنترنت عربي) (2). ولا ننسى أنّ مشروع الذخيرة العربية قد وضع موضع التنفيذ في الحياة، وقد خزّن منه الكثير، والمشكلة فيه أنّ جهده توزّع على كلّ دولة عربية؛ فكلّ منها تقوم بتخزين منتوجها، وكذا تمويل العاملين عليه، ويبدو لي بهذه الطريقة سوف يضيع دمه بين الدول العربية كما يقال، لأنّ هذا ما يعيق سرعة إنجاز العمل، وعدم المتابعة. ولا ننسى الآن ما ينجز في كثير من البلاد حول تاريخ اللغة العربية،

(1) ينظر مقدمة كتاب جرجي زيدان.

(2) هناك نقاط تلاق بين المشروعين، وكان يجب التنسيق بينهما كي لا تتكرّر الأعمال، ويمكن الإشارة إلى الموصفات العامة للذخيرة العربية: ما يخزّن من شيء نفيس يلتجأ إليه وقت الضرورة، وما يخزّنه العلماء والباحثون من نصوص قديمة وحديثة في ذاكرة الحاسوب، أي فهرسة كاملة شاملة شبكية لكلّ ما أنتجه الفكر العربي من الجاهلية إلى يومنا هذا، فتتيح البحث عن مفردة أو صيغة أو بنية أو تركيب أو عبارة جامدة، أو أيّ شيء يخصّ اللغة في نصّ واحد أو عديد النصوص، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتّى الميادين. وسيلبي طلبك في سرعة الضوء؛ للعثور على المعطى العلمي الدقيق والمضبوط وعن السياق، ومدى تكرار الكلمة أو النصّ في نصّ واحد أو عدة نصوص، وهذا كلّ يتمّ بوجود مناطق متطوّر أعدّ لهذا الغرض، يعمل على الإجابة عن أيّة معلومة مطلوبة؛ حيث تلمس أضرار الكبتار بتقديم سؤال، فيجيب بكلّ دقّة، وفي أسرع ما يمكن.

ومنها المشروع الذي تنجزه فرقة بحث في جامعة إسرائيلية، ثم ما ينجز في بلاد الخليج، وما أنتجته وزارة المعارف السعودية، وما تقوم به بعض الشركات في حوسبة بعض المدونات مثل شركة صخر للإعلام الآلي وشركة العالمية، وشركة التراث في الأردن، وما يقوم به بعض الأفراد الخواص، مثل مدونات شركة نبيل علي، إضافة إلى تلك الندوات العلمية التي أنجزت في بداية الألفية الثالثة؛ ومن ذلك نجد اللجنة الرباعية المشكلة من: إبراهيم بن مراد، محمد حسن عبد العزيز، علي القاسمي، أحمد بن محمد الضبيب؛ الذين قدّموا جهوداً كبيرة عبر لقاءات علمية، وتوصّلت هذه اللجنة إلى تقديم الخطوط العامة لهيأة المعجم التاريخي، كما أنّ الأستاذ محمد حسن عبد العزيز قد ألف كتاباً حول المعجم وسَمَّه (المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج) وفيه يحكي قصة حبّه وعشقه ودفاعه عن المعجم التاريخي. فكتابه قصة منافحة منذ مدة عندما كان يوجّه طلابه للتخصص في قضايا المعاجم، وقد ناقش تحت إشراف ثلّة من الباحثين الذين قدّموا مفاتيح كبرى للمعجم التاريخي، وله أفكار هامة يستفاد منها. ولا بدّ من الاستفادة بقوة من مشروع الخطّة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية التي أعدها الأستاذ علي القاسمي⁽¹⁾، بتكليف من اللجنة الرباعية في لقاءها بالقاهرة يومي 4-5 مايو 2006، فهو خطّة إجرائية شاملة جامعة مانعة، وبجدر التنويه بها لما لها من شمولية ودقّة علمية.

ومن خلال هذا التأريخ يجب الاسترشاد بتلك الأفكار، ليتواصل العمل بعمق، ولا نبداً في كلّ مرّة من جديد، أو نعود إلى نقطة الانطلاق، فنعم للمراجعة، لا للتراجع. ويحقّ التنويه في هذا الوقت بالحراك العلمي الذي أبداه اتحاد المجامع اللغوية العربية في ترسيم هيأة المعجم التاريخي للغة العربية. ولا جدال اليوم في أنّ مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة قومية كبرى، ويستدعي الوقت الخروج من التنظير والأمانى إلى الملموس، بعدما وقع الإحساس بالحاجة إلى هذا المعجم مع الألفية الثالثة، وخاصة ونحن نملك الوسائل والطاقت البشرية التي بها يمكن الشروع في إنجاز هذا المشروع المعطل، والآن أصبحنا نملك هيأة المعجم التاريخي التي يجب أن تعضدها مؤسسات أخرى بالتشجيع والتمويل والمساعدة العلمية أو التقنية، كما يتطلّب المساهمة فيها كلّ العلماء من مختلف التخصصات.

(1) عندما نقول علي القاسمي في مجال المعجم نشير بأنّ له دراسات معتبرة في علم المعاجم، ومقالات منشورة في مجلات دولية من مثل: مجلة اللسان العربي، مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، مجلة الجمعية المعجمية التونسية، مجلات المجامع... كما أنجز عملين معجميين هامين، وهما:

1 - علم اللغة وصناعة المعجم، ط 1، 1975.

2 - معجم الاستشهادات 2001.

5 - رفع الصعوبات: قبل الغوص في أعماق الموضوع بجدر بي الوقوف عند بعض الصعوبات التي تبدو لي بأنها تحتاج من البداية إلى الرفع النهائي كي لا يلتبس الأمر، ويبدو لي بأن رفعها باب من أبواب وضع أرجلنا على الأرض الصلبة، وباب من أبواب الانشراح والنجاح في العمل، وهي:

1/5 - الاقتناع بأن المعجم التاريخي لا يُغني عنه المعجم الكبير: هناك من لم يقتنع بفكرة إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، على أساس أن مجمع القاهرة ينجز الآن المعجم الكبير فهو يُغني عن المعجم التاريخي كما يرى الأستاذ ناصر الدين الأسد؛ والذي يقول: إن فيشر بفكرته إنجاز معجم للغة العربية لبه أن يلائم روح العصر، وفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، ولم يستعمل (المعجم التاريخي) ومن هنا فإن المعجم الذي أراده فيشر هو معجم كبير للغة العربية الفصيحة يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر، ف يريد فيشر معجماً كبيراً لا يفتقر إلى ما تفتقر إليه المعاجم السابقة من مادة لغوية. ويواصل -ناصر الدين الأسد- بأن استعماله -فيشر- لكلمة (التاريخي) دون أن يقرنها بما يحدّها، بل جعلها في ثنايا كلام آخر يفهم منه أنه يقصد جمعاً مستقصباً للألفاظ في محيطها التاريخي التراثي المستعملة في كتب المعارف والعلوم العربية والإسلامية وعم الاقتصار على ما ورد في المعاجم المؤلفة منذ العين إلى المعاجم الحديثة... (1)، إن الأستاذ ناصر الدين الأسد قد يكون محقاً من وجهة أن فيشر أشار إلى تطوّر الكلمة تاريخياً؛ وهذا عبر العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وأن ما نشره ليس معجماً تاريخياً، بل معجم كبير للغة العربية؛ لأنّه كان محدداً بزمان دقيق. ولكن يجب أن نربط الأمور ببعض القضايا الأخرى؛ ففكرة المجمع المصري لم تكن مثل ما كان قد خطّطه فيشر، بل كان يخطّط لاستكمال بدايات فيشر، والفكرة كانت قائمة بعد وفاة فيشر؛ إلا أن الإمكانات لم تسعف المجمع مواصلة العمل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نعمّق مفهوم الوجهة التاريخية عند فيشر، والتي أنزلها المنزلة الأولى، ففي مقدمة المعجم يوضّحها كما يلي: «فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في القمة، ذلك لأنّه إذا أخذنا اللغة على أنّها دائمة التطوّر، فلا شك أنّ لكل كلمة تطوّرهما التاريخي الخاص. ويجب أن يوضّح هذا التطوّر التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل، وهذه الوسائل قاصرة، ونحن -في الواقع- ملزمون بأن نقصر على استغلال موارد ومصادر كثيراً ما تكون متعارضة وغير وافية، لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كلّ كلمة وعبرة وصلت إلينا فعلاً والانتفاع بها؛ وليس معنى هذا أنّ من الضروري إثبات كلّ الشواهد

(1) ينظر البحث الذي ألقاه في الدورة الثانية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 2006، والموسوم: المعجم الكبير للمجمع يُغني عن المعجم التاريخي اللغوي (بتصرّف).

التي وردت على كلمة ما في المعجم، إذ إن هذا قد يؤدي إلى البلبلة عند إثبات كلمة كثيرة التداول. كما يتطلب تطويلاً لا موجب له، بل يجب الاختصار على إثبات الشواهد ذات الطابع الخاص، أعني تلك التي تدلّ بحال من الأحوال على الأطوار التاريخية للكلمة، إلا أن التحقق من استخراج هذه الشواهد ذات الطابع الخاص، لابدّ من إمكان مراجعة كلّ المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة، فإنّه بهذا وحده يمكن تحديد قيمة كلّ شاهد لمعرفة الأطوار التاريخية العامة للكلمة وتراكيبها» (1). فواضح جداً أنّ فيشر أشار إلى تطوّر الكلمة وإلى الترتيب التاريخي، رغم المحدّدات التي خصّها في حدود زمانية معيّنة ولكن لا يُعني المعجم الكبير في صورته الحالية عن المعجم التاريخي للغة العربية، ويجب أن نقيس ذلك على معجم أكسفورد للغة الإنجليزية؛ فهذا المعجم شامل يغطي كلّ مفردات اللغة الإنجليزية، مع الإتيان بالشواهد الموثقة، لذلك بدءاً من سنة 1150م حتى صدور آخر طبعة 1970م، فقد سجّل كلّ الألفاظ التي استعملت وبقيت، والتي هجرت، وجّل طرائق هجائها المختلفة عبر القرون، إضافة إلى ما تقدّمه المعاجم من استعمال وبيان مختلف التغيّرات.

2/5- الأخذ في الحسبان طول النفس في الإنجاز: يجب أن نعلم مسبقاً بأنّ المدة الزمنية لإنجاز المشروع ستكون طويلة، وسوف تمرّ حكومات وحكومات، ويأتي جيل أو جيلان أو أكثر، وأنّ المدة التقريبية أو الاحتمالية يصعب تحديدها، وخاصة في المراحل التأسيسية التي هي المنطلق، أو باب الدخول في الصناعة المعجمية، ولكن تطوّر اللسانيات، وعلم المعجمية، وصناعة المعاجم، ودخول الآلات العملاقة، من شأنها أن تقصّر المدة وتيسّر عملنا، فليس تدوين المعجم التاريخي معجزة الآن أمام معطياتنا المادية والفكرية والآلية، وخاصة إذا كان العمل على شكل فرق متنوّعة؛ وكلّ فرقة لها مهمّتها المحدودة، وندخل حرفة الصناعة المعجمية، وبذلك نستدرك التأخير، ونعلم أنّ أمماً قضت سنوات وسنوات في تدوين معاجمها التاريخية، ولم تسجّل كلّ تاريخها، بل حدّدت فترة ضيقة مثل القرن الفلاني لا غير، وهذا ما ينطبق على القاموس التاريخي للغة الفرنسية التي لم تمسح كلّها واستمرّ العمل فيه ستين عاماً، كما أنّ المعجم التاريخي للغة الألمانية دام العمل فيه قرناً. ومن جهة أخرى يجب العلم بأنّ الزمن الحاضر كفيل بربح الوقت، وكسب رهان الإنجاز في وقت لا يطول مثلما عرفته المعاجم الأجنبية، ونحن نعيش عصر التدفّق المعلوماتي، وعصر السرعة، وعصر الآلات العملاقة التي تعمل على تقليص الوقت، ولكن يجب أن نعلم بأنّ هذا التقليص غير مبني على عمر دقيق «وخاصة إذا علمنا أنّ (معجم أكسفورد) الإنجليزي استغرق إنجازَه سبعين سنة، وضمّ أكثر من ثلاثة ملايين ونصف شاهد لغوي، وإذا علمنا أنّ المركز القومي الفرنسي في (نانسي) جمع في عشر سنوات

(1) أ فيشر، مقدمة المعجم التاريخي، ص 23.

حوالي مائتين وخمسين مليون شاهد بمعدّات إلكترونية، وإذا علمنا أنّ معجم (روبار الكبير) يحتوي على مائة وعشرين ألف شاهد، وإذا علمنا أنّ المعجم عامة يطعّم باستمرار، فمثلاً بين طبعة معجم (فيهر) الأولى سنة 1958م وطبعته الرابعة سنة 1970م زيدَ رُبْعُ المداخل تقريباً، وإذا علمنا أنّ تأليف المعجم يتطلّب معرفة بعلم المفردات أي (المعجمية) Lexicologie ومعرفة بصناعة المعجم أي المعاجمية Lexicographie اتّضح لنا أنّ المعجم عامة أصبح عملاً مؤسّساتياً لا فردياً⁽¹⁾. وفي هذه النقطة يمكن معارضة الواضعين للقانون بإطلاق التسمية على هذا المشروع اسم (الهيئة) وهذا يتنافى مع طول نفس المشروع، ويحتاج إلى إطلاق تسمية (المؤسسة).

3/5 - رصد كاف وكامل للتمويل: للمشروع نفس طويل، بمعنى أنّه يحتاج إلى تغذية تمويلية أقوى ورغم السخاء الذي قدّمه الأمير سلطان القاسمي، يبدو لي لا يكفي ذلك، بل يحتاج إلى تمويل وهبات الأفراد وموازنات الدول وأموال المؤسّسات والمجامع، وأن تَقْتَطِعَ كلّ دولة عربية جزءاً من موازنتها لضخّه في هذا المشروع، وأن يكون التمويل وافراً ومغداً. ولا يعني الإغداق هنا التبذير، بل من الأهمية بمكان أنّ أمثال هذه الأعمال ترصد لها ميزانيات مسبقة تكون في متناول الباحثين والكتّبة والمدقّقين والمراجعين، وكلّ من يقوم على أمر هذه المؤسّسة، وهذا عن طريق دفاتر المهام والعقود التي تبرم مع المتعاملين كل في اختصاصه.

4/5 - كيفية الحصول على الكميّة الكبيرة من المعطيات والمدوّنات من العصر الجاهلي إلى الآن: إنّ المعجم التاريخي فهرسة كامنة شاملة لكلّ ما أنتجه الفكر العربي أو العالمي باللغة العربية من الجاهلية إلى العصر الحاضر، وهو أوسع من الموسوعات ودوائر المعارف كلّها، فمادته تهفو إلى السعة، وتضمّ كلّ الألفاظ، والمعالجة يغلب عليها الطابع الدلالي والتنوّع السياقي في ضوء التتبّع الامتدادي عبر العصور، ومن هنا فلا بدّ من تصوّر أولي مضبوط عن المدوّنات التي تُدرج في متن المعجم، وقد أبانت الأبحاث الجادة في هذا الشأن بأن البداية تكون من سنة 200 قبل الإسلام، أو ما يسمى بالعصر الجاهلي إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وحدّوده بموت الزبيدي 1206 هـ. في هذه المدة الزمنية الأولى لا يكون المعجم نمطياً انتقائياً، فلا يفاضل بين المواد، بل يسجّل كلّ مكتوب، وكلّ لفظة عرفتها العربية واستخدمتها منذ عهد نقوشها إلى التاريخ المذكور، فلا يهمل النثر مهما قلّ، ولا يفاضل شعراً على شعر مهما كثر، بل هو مسح عام لكلّ قول مكتوب باللغة الفصحى⁽²⁾. والأحرى الوصول إلى:

(1) أحمد العايد «دائرة المعارف الإسلامية أصل من أصول المعجم العربي التاريخي» مجلة المعجمية. تونس: 1990، العدد الخاص بندوة:

وقائع ندوة (المعجم العربي التاريخي: قضاياها ووسائل إنجازها) (5 - 6) ص 56.

(2) لا يعني عدم إدراج العاميات معناه إلغاء وإسقاط جزء هام من الذخيرة، أو أنّ الدارجات دنساً مهجوراً أو لا يعتدّ بها، بل إنّ المرحلة الراهنة تقتضي الاهتمام باللغة العربية الجامعة والأحادية التي هي ديواننا الأول، ومستقبلنا المشترك، وفيها دون آباؤنا غرر مفاخرهم وآدابهم، ولم يبدعوا إلّا في ظلّ هذه اللغة الفصيحة، وقد يكون الاهتمام ببعض الدارج لرده إلى فصيحه، أو إلى أصله، وكيف حدث فيه تصرّف وأسباب ذلك الانحراف. وأما إذا وقع الاهتمام بالدارج، فأيّ دارج نعتّمه في العالم العربي، والدارج دوارج.

- * النقوش الموجودة والتي استطاع البعض تشفيرها، وهي قليلة على كل حال،
- * الألواح والنقود التي عليها الكتابات الأولى،
- * المصادر الأولى منذ بداية عصر التدوين والتي تعود إلى بداية سنة 148 هـ،
- * المراجع التي قامت على المصادر بعد ذلك،
- * كل الدواوين المنتجة في هذه الفترة،
- * كل المعاجم التي أُنجزت،
- * كل الموسوعات،
- * كل دوائر المعارف،
- * كل إصدارات المراكز العربية والأجنبية عن اللغة العربية،
- * كل المدونات التي سُجلت أو طُبعت،
- * كل ما خُزن في الشبكية، أو ما سُجل على الأقراص،
- * كل الرصيد اللغوي الوظيفي المغربي، والرصيد اللغوي العربي،
- * كل مخزون الذخيرة العربية، ومدونات صخر، ومدونة مركز جمعة الماجد، ومدونة المسبار ومدونة موسوعة الشعر العربي، ومدونة الوراق، والتراث، ومدونات المعاجم لمختلف المراحل الدراسية، ومدونات قيد النشر...
- * وأما المدة الزمنية الثانية، فتكون من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحاضر، وهذه الفترة غزيرة في الإنتاج، ومتشعبة في التخصصات، ونجد فيها الجبال من المؤلفات، ولا تعامل مادة هذه الفترة معاملة الأولى؛ فهي فترة كثرتها الإنتاج وتشعب، وخاصة الصحف، فيصعب متابعة كل إنتاج العصر وفي كل اختصاص، ومن هنا يقع الاختيار والانتقاء في كل المواد، وهذا لعدة عوامل:
- * فترة غير مؤسّسة، فالمادة الأصل في الفترة الأولى، وقد أخذت بالاعتبار دون انتقاء،
- * فترة تحتاج إلى عينات نوعية تكون هي المرجع والشاهد على لغة العصر الحاضر،
- * فترة تأخذ في الاعتبار لغة الصحافة التي أعطت للعربية الدفع القوي من النماء اللغوي،
- * فترة تدفق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية،
- * فترة تحتاج إلى أخذ العينات من الاجتهادات العلمية التي ظهرت في كل الدول العربية بعد الرجوع إلى المصادر الأساس والتي يقع الاتفاق عليها من قبل المجلس العلمي.

5/5 - الرهان كل الرهان على وضع مناطق (Logiciels) لعملية الحيازة والمعالجة

والاسترجاع: في عصرنا الحاضر لا يجب أن يكون العمل بالجزايات أو بالطريقة التقليدية، ونحن نغمرنا الآلات الحديثة والمناطق المتطورة (البرمجيات). وبات حرياً بأن التحكم في وضع المنطق القارئ والمدرّك للرصيد اللغوي العربي، ويكون عالي السرعة والمعالجة، وبمحرك عربي متطور ويستجيب للمعالجة الآلية للنصوص العربية هو أمر ضروري قبل الانطلاق، فكل ذلك يسهل كل العمليات ويدرك المصطلحات، ويعرف التغير الدلالي، ويسقط المكرور، ويتدرّج في المادة. نحن بحاجة إلى منطق متطور، وإلى أجهزة تستطيع تخزين الكمّ البلايني من للمعلومات، وتستطيع استعادتها تحت الطلب، وتنظيمها، وعدّها، وإعطاء مدلولها، وما طرأ عليها من تطوّر.

أوكد بقوة بأن الرهان المعاصر يقف في مدى استغلال هذه التقنيات للتخزين والعدّ والمعالجة التي تتطلبها عمليات السرعة، أمام الكمّ الفيضاني للمعلومات وللتراث الذي له عمق تاريخي كبير، ولكن لا يعني هذا إلغاء عمل البشر، فالآلات نحتاجها، ولكنّها لا تعوّض العنصر البشري تماماً، بل نحتاج إلى عناصر بشرية كثيرة تكون كفأه في عملها، فهي التي تدقق وتصحّح. وأما نقطة (استغلال التقنيات) فتحتاج إلى لقاء تشاوري بين رؤساء الوحدات، ومجموعة من الحاسوبيين؛ حيث يشرح رؤساء الوحدات:

* معنى المعجم التاريخي: لغة اصطلاحاً،

* عملية التخزين،

* عملية المعالجة،

* عملية الإحصاء،

* عملية تطوّر الألفاظ،

* عملية طرح المكرور،

* عملية الاسترجاع،

أي إنّ المعنيين بأمر الوحدات لهم تصوّر مبدئي عن ميكنة المعجم التاريخي، فالأحرى أن يشرحوا فكرتهم للحاسوبيين بغية وضع منطق حسب الأفكار التي يقع التفاهم حولها، تسهيلاً لعملية التخزين وهي العملية الأولى التي يجب أن يعدّوا إثرها متخصصين في مجال الحيازة. وعلى الحاسوبيين أن يعملوا على برمجة آلية سواء على مستوى الحيازة اليدوية، أم الحيازة عن طريق الإنترنت، أم باستعمال الأقراص الممغنطة (CD) أم بالماسح الضوئي. وعليهم كذلك أن يجعلوا المناطق قابلة للتطوير، ومفتوحة على احتمالات لاحقة تعمل على التطوير والتحسين والتصحيح؛ حتى تستجيب بشكل كامل لآليات المعجم التاريخي، هذا من جانب، ومن جانب آخر، لا بدّ أن تقع الاستفادة من الصناعة المعجمية والاستعانة بالتجارب الناجحة.

الجزء التطبيقي

هو الجزء المكمل للنظري؛ باعتباره تطبيقاً لحثياته، ويتطلب هذا الجزء الشروع في الإجراءات وتطبيق المنهج العلمي، خاصة بعد وضوح الرؤية العامة لمفهوم المعجم التاريخي الذي نكرّر القول في صفاته العامة بأنه: جمع المدونة العربية باستقراء كل النصوص استقراءً؛ يتتبع التطور التاريخي. والأحرى بنا إتباع المنهج التأصيلي التاريخي المقارن للنصوص التي سوف تُنسخ، ولا ننسى المنهج الوصفي؛ حيث يصف كل النصوص والوحدات بالنظر إلى سنة ورودها، وتحذف الاستعمالات المكررة، ثم تدوّن المعاني الجديدة فقط، بالاحتفاظ بالأقدم من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي. كما يدرس المعجم نشأة المادة وعروبته أو تعريبها، وما يتصل بها من عوامل النطق، ويرتبها تاريخياً بحسب ظهور الصيغ، مع تقديم المبني على المعرب، والثنائي على الثلاثي، والثلاثي على الرباعي والرباعي على الخماسي، واللازم على المتعدي، والمعلوم على المجهول، والمجرد على المزيد، وكل التغيرات الطارئة من خلال حروف الزيادة... ولا يتجاوز ذكر الأصوات، وما طرأ عليها من تغيرات كما لا يتجاوز الأساليب والتراكيب الخاصة الاصطلاحية التي اتخذت دلالات معينة، كما يذكر اللفظ الذي استخدم مرة واحدة ثم هُجر / ما زال يُستعمل؛ بالإشارة إلى مصدره، وموطنه، وقائله، ومعناه وما طرأ عليه من كل الجوانب اللغوية والأدبية، ولا يتجاوز المسكوكات، والمركبات، ودلالاتها وتطورها عبر الأزمان؛ حيث يتقصى المعاني في مختلف العصور والبيئات ولدى كل الطبقات...

وأما الإجراءات المنصوص عليها في العنوان؛ فالمقصود بها الخروج من التنظير والأمني، وما كان حلماً ذات وقت إلى مجال الأجراء الفعلية التي تؤدي بنا إلى تجسيد الملموس بفعل خطط واضحة محدّدة بزمان؛ أي ترجمة الحلم إلى سلوك قابل للممارسة. وأما المنهج فأقصد به وضع الترتيبات اللازمة ضمن الإجراءات الفعلية ذات الأبعاد والمرامي والأهداف؛ انطلاقاً من منهج علم اللغة الوصفي، بالاستعانة بعلم اللغة التاريخي، والاستهداء بعلم اللغة المقارن، في تدوين المفردات والألفاظ وهذا بوضع طريقة منهجية يمكن بواسطتها معالجة المعطيات الجزئية؛ وصولاً إلى المعطيات الكلية وبرسم إستراتيجيات ضمن الأبعاد الثلاثة: القصير والمتوسط والبعيد المدة. وتعدّ هذه الإستراتيجية طريقة من طرائق حلّ المشكلات، والهدف من ذلك تمكين المختصين من التغلب على كل الصعوبات التي سوف تنجرّ عن هذا الإنجاز الحضاري القومي.

1 - الجوانب الإجرائية: يبدو لي بأن المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى ثلاث خطوات كبرى وعملاقة، فإذا استطعنا تجاوزها يمكن أن نقول: إن المعجم سينجز في القريب العاجل، ولا يحتاج إلى قرن أو أكثر، وهذه الخطوات هي:

- **الخطوة الأولى:** الوصول إلى تحديد المعالم الكبرى لتطوّر اللغة العربية خلال العصور.

- **الخطوة الثانية:** الوصول إلى وضع قائمة بأسماء النقوش والمخطوطات والمظان والمصادر الموثقة التي تستقى منها مادة المعجم.

- **الخطوة الثالثة:** الوصول إلى صنع برمجيات حاسوبية (مناطق) لتخزين ومعالجة وتصنيف وتحليل المدوّن، والإجابة عن أيّ طلب يخطر ببال الباحث في اللغة العربية.

إنّ التركيز في العمل لا يخرج عن هذه الخطوات، وهي الخطوات الأساس التي تجعل المشروع يدخل حيز التنفيذ. وإذا أُؤكّد على مسألة الخطوات الثلاث باعتبارها المنطلق، وخاصة التحكم الدقيق في إنتاج / استيراد / تكييف البرمجيات، فهي الأداة المنهجية التي تيسّر العمل وتقنّه وتصنّفه، وتعمل على السرعة. ومن هنا أصبح الحاسوب في إنجاز المعجم التاريخي الأداة الهامة في إعداد المادة بصفة عامة، وعدم وجوده لا نستطيع التحكم في حجم المدوّن «المشكلة الأساسية في صناعة المعجم التاريخي تتّصل بحجم المدوّن التي تؤخذ منها الكلمات والاقتباسات، فقد اعتمدت المعاجم التاريخية التي أنجزت مثل معجم أكسفورد الإنجليزي OED كما تعتمد المعاجم التي تنفذ حالياً للغات مختلفة والمستويات لغوية مختلفة على مدوّنات ضخمة، وصلت في بعض الحالات إلى عدة آلاف من المجلدات، تضمّ مئات الملايين من الكلمات المتتابعة في نصوص الكتب. وقد أصبح الحاسوب أداة ذات كفاءة عالية لتحقيق الطموح العلمي» (1). ويجب تأكيد مسألة حوسبة هذا المعجم؛ حيث يقع التركيز في هذا الوقت حول النظم الحاسوبية والبرمجيات باستدعاء المعنيين بالأمر للعمل على تطوير خدمات الإدخال والإخراج وتعريب التطبيقات الحاسوبية والبرمجيات، وتعريب نظم التشغيل للحواسيب (2). وإنّ السعي لوضع برمجيات تخدم اللغة العربية أساساً؛ أي تشتغل بالحرف العربي فهي الأداة العصرية التي أضحت لا مفرّ منها، فعلى عاتق الحاسوبيين تركيز مجهوداتهم في تعريب التجهيزات على المطارف ذات العلاقة بالعربية، ثمّ البرمجيات المعتمدة في اللغات المتقدمة، والأخذ في الاعتبار خصائص اللغة العربية، والمشاريع الكثيرة التي قدمت في هذا المجال بشكل جزئي، ومن ثمّ لا يمنعنا من الاشتغال في بعض الأمور الأخرى من مثل:

1/1 - وضع الرمز المختصر للمعجم: وأرى ضرورة الإبقاء على مقترح المعجمية التونسية (متع).

(1) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: دت، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع، ص 74.

(2) ينظر: مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس: 1996، عدد خاص بـ (اللغة العربية والنظم الحاسوبية والبرمجيات).

2/1 - الاتفاق على الشعار الذي يحمله في المراسلات: تفتح مناقصة في تقديم العروض، وترصد لجنة علمية لاختيار أفضل عرض يستجيب لأهداف المعجم.

3/1 - إنجاز القانون الأساسي للعاملين: ينظر فيه بحسب القوانين السارية حصراً في دولة المركز، مع المرجعيات الإضافية للمؤسسات العربية / الدولية التي تتواجد في دولة المركز. وأرى أن المشروع الذي قدّمه الأستاذ علي القاسمي بخصوص (النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية) في أبوابه الثلاثة، ومواده الاثني عشر، مقبولاً وصالحاً إلى جانب (مشروع نظام الموظفين) في حدّ ما فهما معقولان من حيث الإلمام التام بكلّ المعطيات القانونية، ويحتاجان فقط إلى تطعيم من قبل مختصّين في الإدارة والمالية لترجمة بعض النصوص وفق قوانين البلد المضيف حصرياً، وإلى ترجمة المخصّصات المالية إلى أرقام معمول بها في المؤسسات الأجنبية المتواجدة في الجمهورية المصرية. وعلى العموم فإنّ هذا الأمر ليس بالقضية المركز التي يمكن أن تعيق عملية المعجم، ونحن نعلم أنّ عملية الحسابات ليست في المستوى الذي تتعطل بها الأشغال.

4/1 - فتح بوابة المؤسسة في الشبكة الدولية لـ (متع): بات حرياً أن تفتح المؤسسة موقعها الخاص، وتحمل شعارها، وتضع فيه كلّ مستلزمات عملها الجاري إنجازه، وما هو في الطريق ويوضع فيه في البداية:

* الكتاب التعريفي بالمعجم التاريخي للغة العربية (متع).

* كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في المعجم.

ويكون هذا تهئية للاحق من الأعمال التي سوف تضحّ لمن يهّمه أمر هذا المعجم. وأرى من هذا المنطلق القاعدي بأنّ الأمور الأخرى لاحقة بحكم الوقت فقط، ومن هنا يجدر بالقائمين على وضع الترتيبات الأولى إعطاء كلّ العناية لهذا الأمر، فهو القاعدة التي يسير عليها المعجم التاريخي في لاحق من خطواته.

5/1 - توفير الاحتياجات الدنيا: أتصوّر في المرحلة الأولى أن يكون المنطلق بوضع القاعدة الأساس للمؤسسة الفتية، والتي لا تتطلّب إلا الحد الأدنى، ونعرف أنّ لكلّ بداية عثرات وصعوبات وأصعب الصعوبات في الانطلاق، وما أسهل العمل إذا حصل الانطلاق، وبالانطلاق تظهر الفراغات والأخطاء، ويبعث لها عن حلول، المهمّ أن ننطلق، وعند ذلك لكلّ حدث حديث. وأرى أنّ الحد الأدنى يكون بتوفير ما يلي:

* كتبة حاسوبيين للجمع والحياسة،

* حواسيب متطورة وعالية الجودة،

* خطّ إنترنت متخصص،

- * خطوط للاتصالات،
- * خبراء لغويين يجمعون بين التمكن اللغوي والإتقان القوي للإعلام الآلي،
- * مكتبة ورقية، مع مكتبة إلكترونية،
- * تجهيزات مكتبية أخرى،
- * البدء بالحيازة اليدوية، في انتظار إعداد مناطق للحيازة.

2 - وضع الكتاب التعريفي (1): والهدف منه توصيف عام لـ (متع) وأهدافه وخصائصه، وما سوف يقدمه للغة العربية، ويمكن أن يجيب الكتاب التعريفي باختصار عن الآتي:

- مقدمة: فكرة عامة عن المعجم التاريخي للغة العربية (متع)،
- أسباب تعثر المشروع في الماضي وإحياء الفكرة في الوقت الحاضر،
- دواعي تأليف المعجم التاريخي، حدوده وأبعاده.
- ويتمّ التعرّض في هذه المقدمة إلى تصوّر الثقافة والحياة العربية من خلال اللغة، يتيح الإطلاع على التعبيرات القديمة، وما عرفت من تطوّر إلى أن وصلت إلى وضعها الراهن، كما يتيح لنا هذا المعجم قراءة تراث اللغة العربية من خلال الممارسات اللغوية. فهو معجم يشتمل على تاريخ المفاهيم والأفكار والمؤسّسات وتطوّر العلوم من 200 في العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر.
- أهداف المعجم التاريخي،
- لمن يعدّ هذا المعجم،
- الإطار العام للمعجم،
- حجم المعجم،
- مداخل المعجم،
- مراحل الإنجاز،
- شروط العلماء المستكثبين،
- الجهات المشاركة في المعجم،
- آفاق المعجم.

3 - إنجاز كتيب في القواعد الفنية التي تراعى في (متع): وهذا الكتاب موجّه للعلماء المستكثبين في الحقيقة، ثمّ هو كتاب للمختصّين في المعجم وفي الصناعة المعجمية؛ يسترشدون به منهجياً أثناء تحرير المواد، ولا شكّ أنّه بإطلاعهم على هذا الكتاب يبدون أفكاراً تصحيحية

(1) يمكن الاسترشاد في هذه النقطة بالكتاب التعريفي / القواعد الفنية، الذي وضعت اللجنة العلمية لموسوعة أعلام العرب والمسلمين. تونس: 1999.

تؤخذ في الاعتبار في مراجعة النقائص، وفي تصحيح بعض الآراء، ويستهدي به المستكتبون في إنجاز المطلوب منهم ويمكن أن يشمل على الآتي:

- قيام المعجم على الدقة في المعلومات، والموضوعية في العرض،
- الإفادة المناسبة من الصور والجداول واستعمال الرموز والمختصرات وقت الحاجة،
- الإشارة إلى أماكن استعمال علامات الوقف،
- وضع قائمة بالمختصرات⁽¹⁾ / الشارات / الرموز التي تعتمد أثناء الكتابة،
- إنجاز قائمة بالمصادر الأساس للمعجم،
- توضيح طريقة العرض والصياغة،
- ذكر مواصفات اللغة المستخدمة،
- الاتفاق على المصطلحات العلمية المستعملة في المعجم،
- الإشارة إلى حجم ونوع الجداول والخرائط الموظفة في المعجم،
- التدقيق ثم التدقيق في النقل، وهذا بمراجعة صارمة لكل المواد والاقتباسات،
- تحتفظ الكلمة برسمها كما وردت في كل اقتباس؛ لأنها تمثل جانباً من ثقافة العصر ومعرفته،
- الإشارة إلى طريقة الإحالات والهوامش،
- تحديد عدد الكلمات في المدخل الرئيس، وفي المدخل الفرع، ..
- ومن هنا فإنه يطلب من المستكتبين الغوص في كل كلمة من كلمات اللغة؛ من حيث:
- كل صوت من أصواتها،
- كل صيغة من صيغها،
- كل اشتقاق من اشتقاقاتها،
- كل تركيب من تراكيبها،
- كل أسلوب من أساليبها،
- كل مسكوك من مسكوكاتها،
- كل مثل من أمثالها. . .

(1) إنَّ مجمع اللغة العربية بمصر قد اقترح أو أنجز أعمالاً معتبرة في مجال رموز المراجع اللغوية التي يفضّل توظيفها. كما أنَّ مجمع اللغة العربية الأردني قد أنجز مدوَّنة في المختصرات العلمية. وأمَّيل إلى أنَّنا نعتد في ماله علاقة بمختصرات ورموز وشارات ما وقع الاتفاق عليه من قبل المجمع.

- وهذا عبر مرّ العصور وكرّ الدهور، إضافة إلى :
- تجاوب كلّ كلماتها من حيث التواتر، الشيوع، الفناء، البقاء، التأثر والتأثر،
 - تتبّع الكليات دون نسيان التفاصيل والجزئيات،
 - تتبّع التغيّرات بما تحويه من نماذج،
 - لا يكتفي بالنماذج إلّا في العصريّات .

4 - الاستهداء بالمنجزات العلمية السالفة : مثلما ذكرت سلفاً بأنّه لا ينبغي أن نبني في كلّ مرة بناءً جديداً، فهناك منجزات علمية مضبوطة تحتاج إلى تثمين وتجسيد في هذا المعجم التاريخي، فلا يجب أن نمرّ مرور الكرام على القرارات العلمية في خمسين عاما 1934-1984م، التي أنتجها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باعتباره مؤسّسة تشريع لغوية، ولذا نستهدي بقراراته في : كتابة الأعلام الأجنبية وفي ترجمة المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها، وفي وضع المصطلحات، وفي الترجمة والتعريب، وفي وضع الرموز للمراجع اللغوية، وفي ترجمة الكواسع والصدور، وفي اختصار صور الحروف الطباعية... كما يمكن الاهتداء في ترتيب المداخل وتفرّعاتها والألفاظ المعرّبة والدخيلة بمنهج المعجم الكبير، وفي المختصرات يمكن العودة إلى الاجتهاد النوعي الذي قدّمته الموسوعة العربية الصادرة في سورية، أو ما قدّمه المجمع الأردني من اجتهاد في : مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية والعربية سنة 1985م... والذي يهّم في هذه النقطة لا يجب أن نخلق ما هو كائن، بل علينا أن نضع هذه الإجراءات التي سبق لها أن وُضعت، ونسترشد بما يخدم لغتنا سواء كانت من مؤسّساتنا أم من مؤسّسات أجنبية، فيجب العمل بالذرائعية التي تخدمنا وترقي لغتنا، فحيث وُجدت المصلحة فثمّ فائدة اللغة العربية. ولكن أوّكد أمر الأخذ بالجهود التي قدّمتها المجمع على وجه الخصوص، فإنّها قدّمت اجتهادات وقرارات وتيسيرات، فالأحرى بنا أن ننظر في تطبيقها في هذا العمل القومي، وإلّا ما الفائدة من ذلك الركام المعرفي الذي يقدّم منذ 1919م.

5 - كيفية الإنجاز : يجب أن تعطى الكلمة هنا للمختصين والمعجميين والحاسوبين، وإلى أهل الحرف العلمية الدقيقة التي هي من اختصاص حرفييها، وخاصة في مجال وضع المداخل، وكيف يقع تصنيفها، وكيفية التعامل مع الفروع، إلى جانب المعطيات العلمية الأخرى من مثل : الكلمات الأعجمية تقسيم الكلمات أنواعها، كيفية تأصيلها، المجال التخصصي لها، تاريخ أقدم مسموع لها، نظام كتابتها...

هذا، وأرى أنّ من المراحل الإجرائية التي تتطلّب التحضير الجيّد كذلك :

* تكوين فرق من الحاسوبيين المخزّنين للمادة،

* تقسيم العمل إلى فرق متخصصة،

* توحيد منهجية البحث والتخزين،

* تقسيم المادة العلمية إلى عصور،

* إعداد مناطق متعدّدة؛ تكون كما يلي :

1 – الأول للتخزين .

2 – الثاني : للتدقيق اللغوي .

3 – الثالث : للتصنيف .

4 – الرابع للإخراج .

* تحديد المناطق باستمرار تلبية للمتطلّبات التي تفرضها المضايقات التقنية،

* اقتناء أجهزة عصرية متطوّرة،

* تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه وتحديد مدّته،

* تقسيم المادة إلى قسمين : القسم الأول يبدأ من العصر الجاهلي في حدود 200 ق س إلى

نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . والقسم الثاني يبدأ من بداية القرن التاسع عشر الميلادي

إلى الآن .

ويرى الأستاذ علي القاسمي بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب المنهجية التالية :

* تقسيم العمل إلى عصور تاريخية للمواد المجمّعة،

* إعداد قائمة بالمصادر والمراجع والمخطوطات والمطبوعات الموثّقة،

* إنشاء مدوّنة محوسبة،

* استخلاص جذور الكلمات ومشتقاتها والتعبيرات التي تدخل فيها المدوّنة اللغوية،

* تكوين قاعدة شواهد موثّقة على مداخل المعجم،

* تحرير مداخل المعجم (1) .

وهذه المرحلة تتطلّب الآتي :

1/5 – جمع المصادر : تجمع المصادر كلّها من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن السابع

الهجري (نهاية القرن الثامن عشر الميلادي في المرحلة الأولى) . ثمّ الاتفاق على المصادر التي

تجمع منها المادة والتي تخضع للانتقاء، وتتعلّق بالقرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن . ونقف وقفة

(1) علي القاسمي « المعجم التاريخي هل نستطيع أن ننجزه بعد مئة عام ؟ » موقع google بتاريخ 28 فبراير 2008 .

لنقول: إنَّ الوصول إلى كلِّ المصادر ليس صعباً، فقط يجب علينا توزيع المهام؛ بحيث يمكن ذلك إذا كان كلُّ عضو في المجلس العلمي استطاع الوصول إلى جذاذات المكتبات، وعاد إلى استكنائه فهارس المصادر المتوفرة، وإلى استعمال التقنيات المعاصرة في الوصول إلى كلِّ المصادر. وهذه العملية بدورها تؤدِّي بنا إلى القول بأنَّه من الأهمية بمكان البدء بتكوين مكتبة خاصة في مركز اتحاد المجامع تكون في متناول الكتبة (الجماع) والمستكتبين ببلد المؤسسة، وتكون سنداً علمياً للمدققين، إضافة إلى البدء بتأسيس المكتبة الإلكترونية.

وإنَّ الغرض من هذا هو تأسيس مدوّنات محوسبة، أو معجمات محوسبة، وخاصة ونحن نعيش تطوّر إمكانات الحواسيب، والتي تتطوّر عبر الأجيال، وتزداد الإفادة منها، باعتبارها أداة فاعلة للبحث والعدّ والاسترجاع، إلى جانب أنَّها تعمل على إعداد بيانات، وتجيّب عن أسئلة «يقدم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدوّنات CorpuswÖrterbÜcher والمقصود بمعجمات المدوّنات كلِّ الأعمال المعجمية التي تقوم على الإعداد المعجمي لمجموع الكلمات الواردة في نصّ محدّد. وإذا كان التراث العربي قد عرف نماذج من هذا النوع تتمثّل -على الرغم من الفروق في التوجّه والمنهج- في معاجم ألفاظ القرآن الكريم، مثل: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ومثل غريب الحديث للهروي، ومثل: المصباح المنير للفيومي وهو في غريب شرح الوجيز للإمام الشافعي في الفقه، فإنَّ التوجّه المعاصر إعداد معجمات المدوّنات بأنواعها، له -في المقام الأول- طابع حصري شامل يخدم البحث العلمي، ويمهّد لأعمال تطبيقية، وليس مقصوراً على انتقاء الألفاظ الصعبة أو الغريبة، وهي أعمال تدخل في مجموعة أعمال معالجة البيانات عن طريق الحاسوب»⁽¹⁾. وإننا نحتاج في هذه المرحلة إلى تكوين مدوّنات محوسبة التي عن طريقها نجّمع ذخائر العربية في عصورها الممتدة وفي بيئاتها المتنوعة «ومّا يأتي في مقدمة التصنيف إعداد المدوّنات المحوسبة التي تعني بجمع ذخائر العرب من النصوص التي تمثّل اللغة في أحد عصورها، أو بيئة من بيئاتها، أو مستوى من مستوياتها، وهي مقدّمات طيّبة للاستفادة منها في تحديد الكلمات والتراكيب التي يذيع استعمالها بحسب المستويات وتصنيفها، وإرشاد الكتّاب والمؤدّبين من مؤلّفين ومعلمين ومعدّي برامج وإعلانات وغيرها، لغرض إطلاعهم وانتقائهم منها ما يعينهم على مخاطبة الفئات التي يستهدفونها، وييسّر سبل التواصل معها. وكذلك يشكّل النجاح في مجال تأليف المدوّنات المحوسبة مقدّمة لإنجاح إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ذاكرة العربية الممتدة منذ كان حتى الآن والمستمرّة حتى قيام الساعة، ومواصلة مدّه بما يجد

(1) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. القاهرة: د ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 72.

من مفردات وتراكيب جديدة»⁽¹⁾. وبالفعل إنّ مرحلة جمع المصادر يجب أن تكون سريعة، وأن تخضع لتقنية التخزين التي تحصل من قبل التقنيين في البرمجة كي لا يحصل التكرار، وكي لا يكون تضارب بين المصادر التي تخضع للمسح.

2/5 - إنجاز مناطق لتخزين تسميات المصادر ومتعلقاتها: إنّ الكمّ الكبير من المصادر يحتاج إلى مناطق تدوّن فيه كلّ معلومات المصادر، تسهياً لعملية الإسناد وما له علاقة بذلك، وهذا المنطق يجب أن يستجيب لمواصفات أصالة المصدر، وعدم تكرار نفس المصدر، وحسن الترتيب... كما تتطلّب المرحلة استعمال الماسح الضوئي المتطوّر. ويجب أن نعلم بأنّ مرحلة الإنجاز تتطلّب بقوة إعداد مناطق متطورة؛ تسهياً لعملية المسح والمعالجة والإحصاء، ثم سهولة الوصول إلى المادة في صورها المطلوبة، والتي بها تقترب المسافة بين المنتج وبين المعالج. وهي عملية من الأهمية بمكان أن تأخذ الأولوية في هذه المرحلة.

6 - مدة الإنجاز: إذا نظرنا إلى المعاجم العربية القديمة مثل: المحكم، لسان العرب، الصّحاح، تاج العروس... وإلى الموسوعات ودوائر المعارف والمعاجم الحديثة، نجد تقريباً فرداً واحداً قام على إنجاز تلك المدوّنات الضخمة، وبالوسائل التقليدية البسيطة، ومع ذلك لم نجد تلك المعاجم قد فرّخت في أعشاشها، ولا عاشت سنوات العمر تنتظر الإصدار، وهذا لوجود العوامل التالية:

* التفرّغ الكلي للعمل،

* التشجيع المادي والمعنوي،

* الإخلاص والجدّ،

* النظر إلى القيمة العلمية للمنتج،

* الدعم من أولي الأمر.

واليوم تطرح بقوة المدة الزمنية التي سوف يستغرقها إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، ومن هنا؛ فإنّه بالنظر إلى بعض المعاجم التاريخية التي لم تأخذ زمناً كبيراً، وعلى سبيل المثال نجد معجم أستراليا التاريخي الذي لم يأخذ وقتاً كبيراً، والمعجم التاريخي للغة العبرية الذي بدأ العمل فيه عام 1959 وتشرف عليه أكاديمية اللغة العبرية، ويغطي الفترة من القرن العاشر قبل الميلاد حتى العصر الحاضر، فإنّه لم يأخذ الوقت الكثير، ومعجم الذخيرة اللغوية الفرنسية التي تغطي الفترة 1960.1789 الذي استغرق ثمانين سنة، كما أنّ معجم اللغة الهولندية ظهر

(1) صادق عبد الله أبو سليمان «نحو استثمار أفضل للحاسوب في مجالات خدمة اللغة العربية وعلومها» مجلة المجمع الجزائري. الجزائر:

2007، العدد 6، ص 63 - 64.

أول عمل منه عام 1864 واكتمل في 25 مجلداً في ظرف قياسي، ومعجم أكسفورد الذي أخذ سبعين سنة، رغم أنه تشرف عليه جمعية لغوية وهي: الجمعية الفيلولوجية البريطانية «... قاموس جونسون الشهير الذي ظلّ على مدى عدة أجيال المرجع الأساسي في اللغة الإنجليزية لم يستغرق إعداداه أكثر من ستّ سنوات. وكان العاملون في إعداداه الدكتور صمويل جونسون وستة مساعدين معظمهم كتبة ومنتقو استشهادات»⁽¹⁾... ونجد هذه الأعمال الضخمة قد أنجزت بطرائق وإمكانيات جدّ بسيطة، ومع ذلك فإنّها تحكّمت في زمن الإنجاز. ولو عدنا إلى التخطيط الذي قدّمه فيشر لإنجاز المعجم التاريخي، فقد خطّط لظهور العمل الذي يغطي مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري بسبع سنوات، ولم تكن له الوسائل الحديثة، ولا مؤسّسة، ولا يتحكّم إلى فرق كثيرة في الجمع والتخزين. ومع هذا أفترض أنّ مؤسّسة المعجم التاريخي سوف تقوم بتخطيط الفترة المحدّدة، كما يلي:

- سبع (7) سنوات من مرحلة النقوش إلى القرن الثالث الهجري.
- سبع (7) سنوات من القرن الرابع الهجري إلى القرن السابع الهجري.
- سبع (7) سنوات من القرن الثامن الهجري إلى القرن الثاني عشر الهجري.
- سبع (7) سنوات من القرن الثالث عشر الهجري إلى الآن.
- المجموع: 28 سنة.

إنّ ثمانية وعشرين سنة أو أكثر بقليل؛ تكون كافية لإنجاز المعجم التاريخي، وقد تولّد لديّ الإحساس بأنّ الصدق والنية والاهتمام والتفرّغ وتوفير الوسائل سوف تعيننا على تقليص هذه المدة. ولا يجب أن ننظر إلى منجزاتنا البكر؛ والتي عادة تستغرق أمداً كبيراً، وهذا ما يخيف بعض الباحثين؛ حيث يعدّون زمن ظهور المجلد الأول، وقيسون عليه توالي المجلدات؛ مثل المعجم الكبير الذي ظهر الجزء الأول من الطبعة التجريبية سنة 1956، والذي احتوى على قسم من حرف الهمزة، وانتهى حرف الهمزة كلّ سنة 1970م. صحيح إنّ استغرق مدة غير عادية، ولكن يجب أن نعلم بأنّ الجزء الرابع (حرف الجيم) والجزء الخامس (حرف الحاء) قد صدرا في سنة واحدة عام 2000م. ولدينا تجربة أخرى بأنّ المجلد الأول من الموسوعة العربية الصادرة في سورية قد استغرق العمل فيه إحدى عشرة سنة، ولكن بعد ذلك توالى المجلدات من 2 إلى 22 في أقلّ ممّا استغرقه المجلد الأول. ويجب أن نعلم بأنّ البداية هي التحديد والمنهجية والضبط والدقّة، وتأخذ في العادة مدداً؛ أي إنّ الفترة الأولى حرجة إلى حدّ ما وتأخذ وقتاً، ثمّ تتوالى المراحل الأخرى بسرعة، وخاصة عندما تتّضح الرؤى والمنهجية وتأخذ الصناعة المعجمية طريقها الصحيح. فيجب أن نتفائل ونشدّ العزم فقط ولنبدأ.

(1) أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، ط1. القاهرة: 2002، عالم الكتب، ص 311.

7 - مكملات أخرى : إنّ المعجم التاريخي يتطلّب نفساً طويلاً، كما يتطلّب أحياناً بعض المراجعة والتدقيق للمعلومات أو للشواهد، ومن هنا فإنّ ميكنة المعجم ضرورة معاصرة، وهي من متطلّبات الحداثة، حيث تسمح بالمراجعة دون إحداث تأثير على المادة، أو تغيير في المتن، وكلّما ازددنا عملاً ازددنا بصيرة بحقيقته، وباكتشاف ما لم نضعه في الحسبان، ومن هنا فإنّ الضرورة العلمية تقتضي الاجتماع الدوري للمجلس العلمي للمراجعة والمتابعة والتصحيح، والعمل على إيجاد الحلول الملائمة. وإنّ من الأهمية بمكان تقسيم العمل إلى فترات تسهياً للتخزين، وتكوين مدوّنة المعجم التاريخي أَلَحادي اللغة (متع) من نصوص مكتوبة وفصيحة، انطلاقاً ممّا كان لا ممّا يجب أن يكون، فالمعجم وصفي يبني على قاعدة حاسوبية تاريخية؛ تراعي التغيّر الدلالي لشساعة هذه اللغة التي تنطلق من العصر الجاهلي، وتضمّ القرآن الكريم بمختلف قراءاته، والأحاديث الصحيحة، وكلّ التفاسير، ثمّ لغة الأمويين والعباسيين، ولغة القرون الوسطى، ولغة الشعراء، ولغة الكتّاب، ولغة النقاد، وأسلوب اللغويين، ولغة الروائيين، ولغة الصحفيين؛ خاصة الصحافة المعاصرة... مع الإشارة إلى الفصيح والمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والمعرب، والمنقول، والمولّد... وكلّ هذا يقتضي إعداد مناطق جبارة، وأجهزة متطورة للتغلب على التأخير الذي لحقنا، كما يقتضي العمل بكلّ الوسائل المتوفرة وخاصة الماسح الضوئي المتطور؛ والذي يستجيب لتصحيح النصوص المسوّحة باللغة العربية.

يقتضي المعجم بعض الشروط الخاصة والفنية؛ والتي يقتضي ذكرها هنا، وهي :

* يأخذ هذا المعجم ثلاث صوَر، وهي :

1- نسخ مجلدات ورقية مطبوعة،

2- صورة محوسبة (أقراص)،

3- موقع (نسخة) إنترنت .

* وضع مقدمة توضيحية عن :

- التعريف بالمعجم التاريخي،

- المنهج المتّبع،

- دراسة لغوية عن ظاهرة التطوّر،

- بيانات عن طريقة جمع المدوّنات،

- بيان تفصيلي عن المداخل الأصول،

- بيان تفصيلي عن المداخل الفروع،

- تشفير للمختصرات المعتمدة،

- بيان عن طريقة التهميش واستعمال المصادر .

* بيانات تفسيرية عن طريقة جمع المادة، وأرى أنّ طريقة فيشر مقبولة إلى حدّ ما، مع إمكانية إضافة ما يراه المجلس العلمي، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى الخطوط العريضة للخطوات السبع لمعجم فيشر، كما وضّحها الأستاذ إحسان النصّ (عضو مجلس الأمناء):

1- التاريخية: وهو أبرز ما ينبغي العناية به؛ لأنّ لكلّ كلمة تطوّر لها التاريخي الخاص، ولا بدّ من توضيح هذا التطوّر التاريخي.

2- الاشتقاقية: بيان توليد الكلمات والكلمات المعرّبة تردّ إلى أصولها قدر الإمكان.

3- التصريفية: تحديد الصيغ المتغيّرة للكلمة، وتصريف أفعالها، واختيار الصيغة المشهورة في تصريف الفعل أو الاسم.

4- التعبيرية: تعنى بتحقيق الكلمة أو معانيها، والمعنى الأول يؤخذ من اشتقاق الكلمة، ويقدم المعنى العام على المعنى الخاص، والمعنى الحسي على العقلي، والمعنى الحقيقي على المجازي، مع مراعاة المعاني الاصطلاحية.

5- النحوية: تتناول جميع الصلات التي تربط كلمة بأخرى، وترتيب كلمات لها مواضع معيّنة في سياق الكلام، مع مراعاة المضمر أو المحذوف، وتعدّي الفعل أو لزومه.

6- البنيانية: تتجه إلى بيان العلاقات التطورية لكلّ كلمة، والتراكيب والتعابير التي لم يطرأ عليها أيّ تغيير، والدواعي البلاغية لوضع الكلمات وترتيبها.

7- الأسلوبية: تعنى بالبنية اللغوية التي استعملت الكلمة أو التعبيرية أو التركيب استعمالاً عاماً، مع مراعاة اختلاف الأساليب، ومنها لغة القرآن، ولغة الحديث وأسلوب الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي، وأسلوب الفنون وغيره» (1).

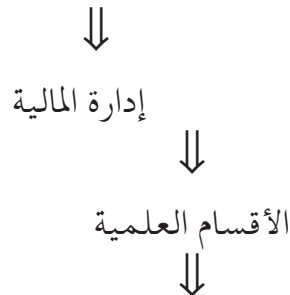
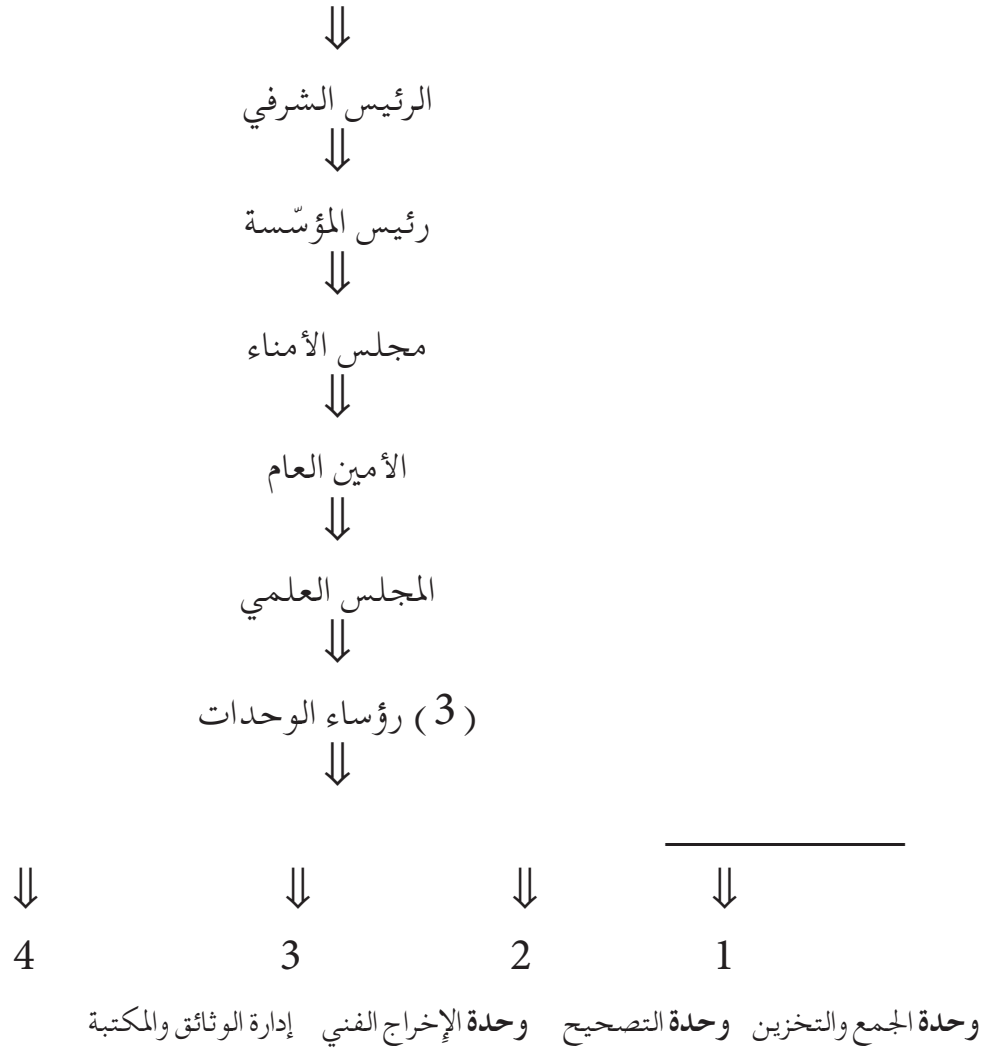
وهذه الخطوات جدّ هامة، وهي التي تعمل على كيفية دراسة كلّ لفظة، فهي منهج جدّ هام، ومع ذلك تحتاج إلى تطوير، لأنّه استُجدت أفكار بعد فيشر، فأرى ضرورة إدراجها، إضافة إلى أنّ دراسة المادة حسب هذه المقترحات هي نوع من التمثيل المنهجي التاريخي الذي يُطلب في مواصفات المعاجم التاريخية، كما يساعد هذا التوزيع على التحكم في المادة المجمّعة.

8 - الهيكل العلمي والإداري لمؤسسة المعجم التاريخي: حسب المواصفات العلمية للمعجم التاريخي، فإنّه يجب تغليب الجانب العلمي على الجانب الإداري، ولذا أرى أنّ الأقسام المقترحة هي أقسام علمية، وهي أساس تصفية المادة العلمية في بدايتها، ثمّ نجد الوحدات الثلاث المقترحة لها الصورة العلمية البحتة كذلك، ولا أرى ضرورة إطلاق تسمية (وحدة) على مصلحة المالية والإدارة العامة وما له علاقة بالمكتبة، فهي إدارة مساندة لجيوش من الحاسوبيين

(1) مجمع اللغة العربية السوري، مجلة المجمع. دمشق: 2007، المجلد الثاني والثمانون، الجزء الأول، ص 31-32. وينظر كتاب محمد رشاد الحمزاوي (النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى استيعاب الخطاب العربي) ص 237-239.

والأساتذة والمراجعين (المدققين) الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إنجاز هذا المعجم الذي ننتظره بصبر. كما لا يغيب عن الذهن بأنّ المؤسسة تحتاج إلى أجهزة وأقسام ومساندين؛ تسهيلاً لأداء العمل بشكل جيّد. وأقترح مبدئياً هذه الهيكلة:

الهيكل العلمي والإداري لمؤسسة المعجم التاريخي



- 1 - قسم الحضارة العربية .
- 2 - قسم العلوم الإنسانية .
- 3 - قسم العلوم التطبيقية .
- 4 - قسم العلوم القانونية والاقتصادية .
- 5 - قسم الآداب واللغات .
- 6 - قسم العلوم البحتة .
- 7 - قسم العلوم الطبية .
- 8 - قسم الرياضة .
- 9 - قسم علم النفس والتربية .
- 10 - قسم الفنون .

&- توضيح في الوحدات: تضمّ الوحدات الثلاث الحاسوبيين الذين يُعدّون خصيصاً لهذا الأمر ويكونون على دراية تامةً بخصائص اللغة العربية من حيث: الصرف والنحو والبلاغة، والبراعة التامة في الحيازة والبرمجة، وما يلحق ذلك من عمليات تقنيات الحاسوب (1). ويكون على رأس كلّ وحدة أستاذ بدرجة عالية جداً، ومهامه توجيه عمل الوحدة، ويراقب كلّ العمليات التي تنجز أثناء الحيازة.

&/ 1 - وحدة الجمع والتخزين: وحدة تهتمّ بتخزين المادة من المظان المختلفة، ويتعلق عملها في الحيازة الأولية التي تأتي من المصادر، وتكون عن طريق التصنيف، أو استعمال المسح الضوئي .

&/ 2 - وحدة التصحيح: هي وحدة خاصة تقع عليها مسؤولية التصحيح والتدقيق، وتحتاج هذه الوحدة للتدعيم بأساتذة كبار متخصصين في علوم اللغة العربية، ويكونون متفرّجين للتدقيق فقط . وفي هذه الوحدة يحصل التدقيق من حيث معلومات:

* عن متن العمل،

* عن منهجية الدراسة،

(1) أوصت اللجنة العلمية المشكّلة من: إبراهيم بن مراد+ أحمد بن محمد الضبيبي+ صالح بلعيد، بأنّ مواصفات الجماع (الكتب العاملة) في الحيازة) في الوحدة الأولى تكون كما يلي:

- 1 - أن يكون موظف الوحدة حاصلاً على درجة البكالوريوس أو الليسانس في اللغة العربية وآدابها .
- 2 - أن يكون حاصلاً على شهادة تدريب في إدخال البيانات واسترجاعها (الحوسبة) أو له خبرة في هذا المجال .
- 3 - أن يخضع لاختبار يُجرى له في اللغة العربية، وفي استعمال الحاسوب، يكون كتابياً أولاً، ثمّ شفاهياً في مقابلة شخصية .

- * عن لغة الدراسة،
- * عن أصالة العمل،
- * عن الجوانب الفنيّة،
- * عن متعلّقات أخرى.

ويشترط في المدقّقين الإلمام الجيّد بفنون المراجعة اللغوية، بدءاً من النقائش والمخطوطات، وما هو محقّق، وما يوجد في الصحائف، وما تحتويه المتون، وما تحمله كتب التراث، والذي تتضمّنه الكتب المعاصرة، والجرائد، إلى جانب إتقان فنّ مراجعة الأبيات الشعرية، وفنّ تحقيق النثر... وكلّ ما لا يسع المصحّح جهله من جوانب فنية. وتقع المسؤولية جسيمة على المدقّقين في أنّهم يدقّقون في مسائل التصحيف، والتحريف، والتعليق، والتخريج، وقضايا عديدة، ومن جوانب شتّى...

&/ 3 - وحدة الإخراج: هي وحدة فنية، يقع العمل فيها بخصوص الإخراج، وما له علاقة بتوظيف المختصرات، والبيانات، والاستبيانات، والصور، وتوظيف الخرائط، والألوان، إلى جانب الجوانب الفنية والجمالية.

&/ 4 - توضيحات في المهام العلمية للأقسام: إنّ مهام هذه الأقسام تتمثّل في الآتي:

- استقبال المادة الخاصة بها،
- التدقيق في المادة المستقبلية من حيث الاختصاص،
- تحليل المادة ودراساتها بدقّة،
- إجراء التعديل المطلوب، أو إبداء الرأي بالقبول، أو بالرفض،
- توجيه المادة المقبولة إلى مصلحة التخزين، وإن طلب التعديل تعود المادة إلى صاحبها للأخذ بالملاحظات.

وأرى في البداية أن ينظر اتحاد المجامع في تنصيب الأقسام التي تحتكم إلى كمّ من التآليف، على أن يلحق تنصيب الأقسام الأخرى في لاحق من الزمن. وإنّ كثرة الأقسام ضرورة تفرضها المادة المتنوّعة الكثيرة، ويفرضها عامل الزمن، وربع الوقت، ولذا لا نستهيّن بهذه الكثرة؛ حيث وجدت في معجم الذخيرة الفرنسية أكثر من ستّة عشر قسمًا، وفي الموسوعة العربية بسورية تسعة أقسام.

إنّ هذه الهيكلية لا تعني في حال من الأحوال استقلال الوحدات بعضها عن البعض، بل الغرض منها السيطرة القويّة على المادة الكبيرة، وتوزيعها على الأقسام (الاختصاصات) تيسيراً للجمع والدراسة والتدقيق الجيّد لا غير. وإنّ غرضي من هذا التقسيم الهيكلي هو العمل في فريق متعاقد يكمل بعضه البعض، وسيمرّ العمل وفق الترتيب التالي:

- 1 - تأتي المادة العلمية عن طريق وحدة الوثائق والمكتبة، أو بواسطة المستكتبين،
- 2 - يقوم الأمين العام بتوزيع المادة - حسب اختصاصها - على الأقسام،
- 3 - تُجرى المراجعة الأولى من قبل القسم المختص،
- 4 - تُوجّه المادة إلى وحدة الجمع والتخزين،
- 5 - يقوم أساتذة وحدة الجمع والتخزين بتدقيق شكلي في المادة،
- 6 - تخزن المادة في صورتها الأولى، ثمّ تسحب وتوجّه لقسم التدقيق اللغوي،
- 7 - يقع التدقيق مرّة ثالثة للاستدراك / للإضافة / النظر في أخطاء التخزين،
- 8 - تعود المادة مرّة ثانية إلى وحدة الجمع والتخزين، لإجراء التصحيحات،
- 9 - توجّه المادة العلمية بعد ذلك إلى وحدة الإخراج الفني،
- 10 - تعرض المادة وهي في صورتها النهائية على المجلس العلمي،
- 11 - يفحص المجلس العلمي المادة من كل جوانبها، ثمّ يؤشّر على صلاحيتها / تصحيحها / تعديلها / رفضها،
- 12 - توجّه بعدها المواد المقبولة في صورتها النهائية إلى الطبع،
- 13 - تخرج المادة في صورها الثلاث: مجلدات، أقراص، موقع المؤسسة،
- 14 - تبقى الصورة الأصل في الحاسوب لاستعمالها لاحقاً في النسخة الآلية (الإنترنت) .

وسوف أعلّق قليلاً على هذه الأمور، ببعض المؤكّدات :

- * لا بدّ من جبر النواقص قبل عرض العمل على اللجان المختصة،
- * لا بدّ من الدقّة الصارمة لكلّ المواد التي يضمّها المعجم،
- * لا بدّ من التحرّز والتحرّج والدقّة المفرطة في تحقيق المواد،
- * لا بدّ من الحوار بين العلماء والمعدّين للمواد والمدقّقين،
- * لا بدّ من تكثير المراحل التي تمرّ بها المادة، فهي باب من أبواب التصفية والمراجعة والدقّة .